الجمهورية الجزائريّة الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل: 202035067596

بجاية خلال العهد العثماني

(1510-1555م)

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

من إعداد الطالبة:

– دلال مزراق

– اشراف:

أ.د/ محمد السعيد قاصري

أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
1	أ.د/ سمير العيداني	أستاذ التعليم العالي	محمد بوضياف	رئيسا
2	أ.د/ محمد السعيد قاصري	أستاذ التعليم العالي	محمد بوضياف	مشرفا ومقررا
3	د/ أمينة بن رحال	أستاذ محاضر (أ)	محمد بوضياف	عضوا ممتحنا

السنة الجامعية: 1445-1446 هـ / 2024-2025م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من كانا مصدر النور في حياتي، وإلى من غرسا في نفسي حبَّ العلم والصبر والثبات،

إلى والديَّ العزيزين، أُهدي هذا العمل عربون وفاء وامتنان، وتقديرًا لجهودهما التي لا تُقدَّر بثمن

إلى أخواتي الحبيبات، وإلى أخي الغالي عصام، أنتم السند والدافع في كل خطوة من خطواتي

وإلى أستاذي المشرف، الدكتور محمد السعيد قاصري، أرفع أسمى عبارات الشكر والتقدير والعرفان، لما بذله من جهد كريم، وما قدّمه من توجيه وإشراف ونصائح قيّمة

الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات، وبحسن عونه تتيسر الأمور

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل المشرف الأول الدكتور بومولة نبيلة على مساعدتي وتوجيهي في اختيار موضوع البحث وبعض المراجع الخاصة به.

كما أتوجه كذلك بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الفاضل المشرف الثاني الدكتور محمد السعيد قاصري على ما بذله من جهد وما قدمه من توجيهات سديدة ونصائح قيمة كان لها الأثر الكبير في إنجاز هذا العمل.

ولا يفوتني أن أعبّر عن امتناني العميق لوالديّ العزيزين، سندي في الحياة، على دعمهما المتواصل ودعواتهما الصادقة، ولكل أفراد أسرتي الكريمة الذين كانوا عوناً وتشجيعاً لي في كل مراحل مسيرتي.

الطالبة: دلال مزراق

قائمة المختصرات

أ. العربية

ط	الطبعة
ط.خ	طبعة خاصة
د ط	دون طبعة
ص	الصفحة
ج	الجزء
تر	ترجمة
تح	تحقيق
ع	عدد
مج	المجلد
م	ميلادي
هـ	هجري
ص ص	صفحات متتالية
تق	تقديم
تع	تعريب
تص	تصدير
ش. و. ن. ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

ب. الأجنبية:

P	Page
PP	Page continues
Op.Cit	Opéro Citato
Ibid	Ibidem

مقدمة

مقدمة

تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني حافل بالأحداث التاريخية، ولم يقتصر تاريخها على الجوانب السياسية والعسكرية فحسب، بل شمل أيضا مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مما يستدعى دراسته من زوايا متعددة وتعد مدينة بجاية من أبرز الحواضر التي برز دورها خلال هذه المرحلة، لما تمتعت به من موقع هام على الساحل المتوسطي، إضافة إلى رصيدها الحضاري والتجاري منذ العصور الوسطى.

شهدت بجاية خلال الفترة العثمانية تحولات كثيرة بدأت بسقوطها على يد الإسبان عام1510م، واستمر احتلالهم لها نصف قرن من الزمن فتعرضت معالمها الثقافية والحضارية للنهب والإهمال، رغم المحاولات المتكررة من الاخوة بربروس لاسترجاعها، مما أبقاها خارج السيطرة المباشرة للسلطة العثمانية، وقد انعكس هذا الواقع على مختلف جوانب الحياة في المدينة، سواء من التنظيم الإداري أو البنية الإجتماعية أو النشاط الاقتصادي، ومن هنا جاء بحثنا الموسوم ب بجاية خلال العهد العثماني.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع بأنه من بين المواضيع المهمة في التاريخ المحلي، وهذا من خلال ابراز أهمية مدينة بجاية خلال العهد العثماني.

دوافع اختيار الموضوع:

لقد ساهمت العديد من العوامل في اختيارنا لهذا الموضوع، حيث تنوعت بين الذاتية والموضوعية ويمكن حصرها في النقاط التالية:

- الرغبة في إثراء التاريخ المحلي، وإثراء الرصيد المعرفي لمدينة بجاية.

- توافق الموضوع مع تخصصي وميولي في مجال التاريخ الحديث.
- تاريخ مدينة بجاية معمور وتراث ضخم فقد وجب البحث فيه ودراسته.
- قلة الدراسات الأكاديمية المفصلة حول تاريخ بجاية في هذه المرحلة، ما يجعل الموضوع جديرا بالبحث.

إشكالية البحث:

يتمحور موضوع هذه الدراسة حول إشكالية عامة تتمثل في:

كيف تجسدت سياسة العثمانيين تجاه مدينة بجاية بعد استرجاعها من الإسبان، وما تأثيرها على مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمدينة؟

ويندرج تحت هذه الاشكالية عدة تساؤلات فرعية هي:

- ماهو موقع بجاية الجغرافي وتاريخها قبل العثمانيين؟
- لماذا أستنجد سكان بجاية بالإخوة بربروس، وما أبرز محاولات استرجاع المدينة؟
- ماهي ملامح الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بجاية خلال الحكم العثماني؟

مناهج البحث:

في هذه الدراسة تم الاعتماد على المنهج التاريخي المناسب لسرد الأحداث التاريخية والذي يركز على تتبع وتحليل الأحداث والوقائع المتعلقة بمدينة بجاية خلال العهد العثماني بالإضافة إلى المنهج الوصفي المناسب لوصف الأحداث التاريخية وتصنيفها وترتيبها ترتيبا كرونولوجيا، بالإضافة للمنهج التحليلي المناسب لدراسة الوقائع ومناقشتها وربطها ببعضها البعض بهدف الوصول إلى استنتاجات لأحكام جزئية وعامة.

خطة البحث:

وللإجابة عن الاشكالية المطروحة اعتمدنا على خطة تضمنت:

فصل تمهيدي وفصلين رئيسيين ، حيث تطرقنا في هذه الخطة إلى النقاط التالية:

الفصل التمهيدي: بعنوان الإطار الجغرافي والتاريخي لمدينة بجاية، الذي خصصناه للتعرف بمدينة بجاية من حيث موقعها الجغرافي ومكانتها التاريخية قبيل مجيء العثمانيين.

الفصل الأول: بعنوان محاولات استرجاع بجاية من الاحتلال الإسباني، قسمنا إلى مبحثين رئيسيين، تطرقنا في المبحث الأول إلى الاحتلال الإسباني وردود فعل السكان من خلال عرض ظروف سقوط المدينة وأسباب استنجاد أهلها بالإخوة بربروس، في حين تناولنا في المبحث الثاني محاولات تحرير بجاية، وركزنا خاصة على حملة صالح رايس1555م.

الفصل الثاني: بعنوان بجاية تحت الحكم العثماني، عالجنا فيه الأوضاع السياسية والإدارية من جهة، والأساليب المعتمدة في تسيير المدينة، ثم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، من حيث النشاطات الفلاحية والتجارية والحياة الثقافية والاجتماعية، إضافة إلى علاقة السلطة العثمانية بالسكان المحليين.

أهم المصادر والمراجع العربية المعتمدة في الدراسة:

- خير الدين بربروس: مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، قد افادني في تتبع الاحداث التاريخية والسياسية لاسيما ما تعلق بمحاولات استرجاع بجاية من الاحتلال الاسباني.

– شـارل لـوران فيـرو: تـاريخ بجايـة، تـر: صـالح بخـوش، افـادني فـي التعـرف علـى طبيعة الحكم العثماني ببجاية والأوضاع السياسية والإدارية بها.

– مـارمول كربخـال: افريقيـا، تـر: محمـد حجـي وآخـرون، افادنـا بمعلومـات مهمـة حـول الحملات الإسبانية ووصف مدينة بجاية.

أما المصادر والمراجع الأجنبية المعتمدة نجد:

- Charles Feraud: histoire des villes de la province de Constain.
- Henri De Garammont:histoire d'Alger sous la domintion turque.
- Fray diego de Haedo: Histoire des Rois d Alger
- Metcier Ernert , Histoire de l Afrique Septentrional Berbére.
- Rozet, Claude-Antoine. Algérie. États tripolitains.

صعوبات البحث:

من الصعوبات التي واجهتنا أثناء هذه الدراسة:

- طول الفترة المدروسة.
- صعوبة الترجمة.
- صعوبة تبويب المادة العلمية لاتساع وتشعب ميادين دراسة الموضوع.

الفصل التمهيدي:

الإطار الجغرافي والتاريخي لمدينة بجاية

أولا: الموقع الجغرافي لمدينة بجاية

ثانيا: لمحة تاريخية عن بجاية قبيل مجيء العثمانيين.

أولا: الموقع الجغرافي لمدينة بجاية:

قبل التطرق إلى الواقع السياسي والاجتماعي والإقتصادي في بجاية يجدر بنا أولا تحديد الإطار الجغرافي للمنطقة المراد البحث فيها وتتبع التطورات التي عرفتها طوال فترة الحكم العثماني.

تقع مدينة بجاية شرق مدينة الجزائر العاصمة، وشمال غرب مدينة قسنطينة وتطل على البحر الأبيض المتوسط[1]، من خلال خليج واسع يعرف ب "خليج بجاية" الذي يأخذ شكل قوس منفتح نحو الشمال يبلغ طوله حوالي 2000 ميلا، بينما يتراوح عمقه بين 7 إلى 8 أميال[2]. تقع على سفح جبل تورية الشامخ، وعلى مسافة قريبة من شرقها يوجد وادي الصومام الذي يصب محاذيا للمدينة[3]، وتشير بعض المصادر أن مدينة بجاية تقع على البحر، لكنها تقع على جرف حجري، ولها من جهة الشمال جبل يسمى "أميسون" وهو جبل سامي الإرتفاع صعب المرتقى وفي أطرافه تنمو بعض النباتات[4].

كما يذكر مولاي بالحميسي أن المدينة كانت مرسى حصينا في جبل عظيم، يمنع دخول الرياح بمدخل ضيق في جبال شاهقة[5]، أما من حيث التضاريس، فتقع بجاية على منحدر بين جبل بني جوجة الذي يبلغ إرتفاعه حوالي 3400 قدم، وجبل

---

[1]– لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555–1833م، دار كوكب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص 15.

[2] -Charles Féraud, **Histoire des villes de la province de Constantine: Bougie, Constantine, Typographie et lithographie**, L. Arnolet, 1re édition, 1869.P18.

[3]– رابح بونار: بجاية خلال الرحالة المسلمين، **مجلة الأصالة**، العدد 19، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية الجزائر، 1974، ص65.

[4]– إسماعيل العربي: **المدن المغربية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 169.

[5]– مولاي بالحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ج1، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981م، ص48.

البابور الذي يصل ارتفاعه إلى 300م[1]، ويشير "عبد الحليم عويس" إلى أن مدينة بجاية تمتد على شكل مثلث قاعدته الميناء أو البحر، حيث تقع المدينة على ساحله[2] كما ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان بقوله: "...**مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، ... وأن بينها وبين جزيرة بني منزغناي أربعة أيام**"[3].

أما حسب الإحداثيات الفلكية، فتقع بجاية عند خط طول 49 شرق غرينيتش ودائرة عرض 49.36 شمالا[4]، أما في المصادر التاريخية فقد ذكر ابن سعيد المغربي أن موقع المدينة هو عند طول 22 درجة والعرض 34 درجة و15 دقيقة[5]، بينما وضعها بطايموس بـ 22 درجة طولا و32 درجة و 30 دقيقة عرضا[6].

يتأثر مناخ بجاية بعدة عوامل، أبرزها موقعها المطل على البحر الأبيض المتوسط، ووجود الجبال المرتفعة المحيطة بها، إضافة إلى الرياح التي تتلقاها من مختلف الاتجاهات، إذ يوفر البحر لها حرارة معتدلة في فصل الصيف، ويخفف من حدة البرودة في الشتاء، كما تشمل في الوقت نفسه رياحا شمالية غربية محملة بالرطوبة.[7] وتعد جبال البابور من المناطق التي تشمل كميات معتبرة من الأمطار

---

[1]– فون ماليناس هاينرش: **ثلاثة سنوات في شمال غربي إفريقيا**، تر: أبو العيد دودو، ج1، ج2، ش، و، ن ت، الجزائر، 1979م، ص109.

[2]– عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر**، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة، 1991م، ص 102.

[3]– ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ج1، دار صادر، بيروت، 1988م، ص339.

[4]– لخضر بوطبة:، المرجع السابق، ص17.

[5]– أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص 142.

[6]– مارمول كربخال: **إفريقيا**، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، دار النشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989م 1989م ص ص 376-377.

[7]– محمد بن عميرة ولطيفة بشاري بن عميرة: **تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السياسية من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك العثمانيين**، ط1، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص 21.

حيث تجاوز 1600 ملم سنويا، ما يجعل مناخ المنطقة غنيا بالأمطار[1]،وهو ما يساهم بدوره في ازدهار نباتات متنوعة في ضواحي المدينة، وقد ذكر الإدريسي عدة نباتات طبيعية يمكن حينها في منحدرات التلال.[2]

وتحيط ببجاية البساتين، لاسيما من الجهة الشرقية وتوجد على مسافة منها غابات كثيفة الأشجار متنوعة[3]، كما تقع في محيطها جبال شاهقة تنحدر بشكل حاد نحو البحر وتغطيها نباتات غابية[4]، وقد وصفها " شارل فرو" بأن المنطقة المحاذية للشريط الساحلي لخليج بجاية يتميز بأجمل الغابات في الجزائر ولأن وفرة الغطاء النبات يجعلها شديدة الاخضرار.[5]

ثانيا: لمحة تاريخية عن بجاية قبيل مجيء العثمانيين:

لفهم موقع بجاية ضمن التحولات الكبرى التي شهدها المغرب الأوسط قبيل دخول العثمانيين، من الضروري تتبع مظاهر حضورها في المصادر الأوروبية، ثم التوقف عند الأوضاع السياسة التي عرفتها المنطقة بعد سقوط الدولة الموحدية، حيث انقسم المغرب إلى كيانات مستقلة وكان لبجاية فيها دور معتبر، وقد وردت مدينة بجاية في المصادر الأوروبية خلال العصر الوسيط والحديث بتسميات عديدة منها "بوجي"[6]، حيث أطلق الفرنسيون عليها اسم bougie[7] ولعل هذا الاسم قد اشتق من

---

[1]- Jean Despois, **L'Afrique blanche I : L'Afrique du Nord, collection "Outremer"**, Presses Universitaires de France, Paris.1964, P16.

[2]– روبار بيرينشفيك: **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من ق 13 إلى نهاية القرن 15**، تر: حمادي الساحلي ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص 412.

[3]– مارمول كربخال: المصدر السابق، ص377.

[4] - Jean Le Roy, **Un peuple de barbares en territoire français. Deux ans de séjour en Petite Kabylie**, Paris, Augustin Challamel, 1911,p16.

[5]– لوران شارل فيرو، **تاريخ بجاية**، تر: صالح بخوش، دار تلانتيفت للنشر، بجاية، 2020م، ص47.

[6]– لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555–1833م، المرجع السابق، ص28.

[7]– من المسلم به أن بوجي وبوزانة قد اشتقت منهما الكلمتان المتدولتتان في وقتنا الراهن "شمعة"وتسمير الجلد، فطالبا كانت بجاية سوقا رائجا لمادة الشمع، بل أن تسمعة بجاية، كان لها صيت في أرجاء أوروبا خلال العصر الوسيط، ينظر: لوران شارل فيرو، المرجع السابق، ص67.

شهرة أهلها بتجارة الشمع منذ عهد بعيد[1]، أما في العصر الحديث، فقد عرضت بأسماء أخرى مثل بوجيا وبوزيا وبيجا[2]، كما أن الملاحين الإيطاليين كانوا يشيرون إليها في خرائطهم بعدة تسميات، وذلك خلال الفترة الممتدة من سنة 1318 إلى 1524م، فقد ورد اسم بجاية بعدة أشكال: Buzana,buzia, bugea, bugia[3].

وقد اقترنت هذه المكانة التي حظيت بها بجاية، بسياق سياسي منقلب عاشته المنطقة، خاصة بعد انكماش الذي عرضته الدولة الموحدية وتراجع نفوذها ببلاد المغرب الإسلامي، انشطرت بلاد المغرب إلى كيانات سياسية هنا وهناك ومن ضمنها الملكة الزيانية وتسمى أيضا مملكة بن عبد الواد[4]، لتبدأ مسارها السياسي[5]، ينتمي بنو بنو عبد الواد إلى فرع من فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناته[6] الكبرى، وقد استقروا منذ آزمنة طويلة بالمنطقة الغربية للجزائر.[7]

وفي الوقت نفسه ظهرت الدولة الحفصية كقوة إسلامية رابعة في البلاد التونسية حيث امتد حكمها لمدة 347 سنة هجرية، أسسها أبو زكريا يحي الحفصي بن أبي محمد عبد الواحد، من بني حفص الهناتي، نسبة إلى هناته، وهي إحدى فروع قبيلة

---

[1]– مختار حساني: **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية**، ج3، ط2، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر 2012، ص 185.

[2]– لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555–1833م، المرجع السابق، ص28.

[3] - feroud; op, cit, p60.

[4]– ينسبون إلى جدهم المسمى عبد الوادي (رهبانية عرف بها جدهم، ينظر: بوزيان الدراجي: **أدباء وشعراء من تلمسان**، ج1، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 150.

[5]– علي العبدي: **الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519–1830)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة الجزائر2، 2019م، ص 52.

[6]– **زناتة:** تعتبر من أكبر القبائل البربرية ينسب أصلها إلى زانا بن يحي بقبيلة عمير اليمنية، ينظر بسام كامل الرزاق شقدان: **تلمسان في العهد العثماني (633–962هـ، 1235–1555م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة، نابلس، فلسطين، 1422هـ/2002م، ص53.

[7]– يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر، 2007م، ص50.

المصامدة البربرية[1]، وقد تمكن السلطان الحفصي أبو زكريا يحي من السيطرة على مدينة قسنطينة، تم واصل تقدمه نمو بجاية تحت السلطة الحفصية غير أن حدودها ضلت متغيرة بسبب النزاعات المستمرة مع القوى المجاورة وعلى رأسها الدولة الزيانية.[2]

وفي هذا السياق، عانت مدينة بجاية كثيرا نتيجة النزاعات، فكانت عرضة لهجومات متكررة من طرف أمراء بني عبد الواد[3]، ويبدوا أن الصراع المستمر بين الحفصيين والزيانيين حول السيطرة على بجاية كان راجعا إلى الأهمية الإستراتيجية التي تميزت بها المدينة[4]، ضلت بجاية والأقاليم التابعة لها خاضعة للسلطة الحفصية من سنة 1230م إلى غاية 833هـ/ 1435م، حين أعلن الحاكم أبو الحسن الحفصي استقلاله بها، وقد شهدت المدينة على أثر ذلك اضطرابات متتالية نتيجة صراعات متكررة بين الأمراء على الحكم[5].

كانت بجاية خلال هذه الفترة تعيش حالة من الفوضى والنزاعات الداخلية حتى استقر بها أبو عمر الحفصي وعين عليها عمه عبد المؤمن بن العباس،[6] كما عرفت الدولتان الزيانية والحفصية صراعا مستمرا بينهما وبين الدولة المرينية من أجل السيطرة وبسط النفوذ، خاصة قبيل منتصف القرن 16م \ 10هـ وقد ساهمت الصراعات الداخلية التي نشبت بين أفراد الأسرة الحفصية، وكذلك بين أفراد الأسرة الزيانية، في اضعاف كلا الدولتين[7].

---

[1]– أحمد بن عامر: **الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخها المجيد**، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974م، ص 17.

[2]– لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555–1833م، المرجع السابق، ص34.

[3]– محمد بن عميرة، وبشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص237.

[4]– لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555–1833م، المرجع السابق، ص34.

[5]– نبيل بومولة: **العلاقات الداخلية والخارجية لإمارة أولاد مقران وكوكو خلال القرنين 16–17م، 10–11هـ** أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر2، 2020–2021، ص30.

[6] – المرجع نفسه، ص31.

[7] – عمار بن خروف: **العلاقات السياسية المغاربية في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي**، ج1 الجزائر، 2006م، ص15

من جهة أخرى، ساهمت القوى الدينية المتمثلة في بعض الطرق الصوفية والمرابطين في إضعاف الدولتين عبر توجيه الانتقادات المتكررة لسياستها وتدخلها في الشؤون العامة [1]، وفي ظل هذا الضعف العام بدأت الأطماع الاوربية تتزايد وشرعت القوى الأوروبية في شن أولى اعتداءاتها على بلدان الشمال الافريقي، سعيا لبسط نفوذهما والسيطرة على المناطق الساحلية الاستراتيجية[2].

عرفت الدولة الحفصية والزيانية تفككا داخليا، حيث تقاسمتا المغرب الأوسط[3] سياسيا واقتصاديا[4]، وإذا أردنا أن نلخص الوضع السياسي العام، فيمكن القول أن البلاد انقسمت إلى عدة إمارات والقبائل المستقلة[5]، فأغلب المدن الساحلية كوهران تنس، شرشال، الجزائر، دلس، بجاية، جيجل، القل، وغيرها أما خاضعة لأمراء أو تحت سلطة أمراء ومسؤولين محليين مقسمين عن الدولة الزيانية كأبي يحيى بن محمد الزياني في تنس[6]، أو تحت سلطة أمراء الحفصيين لكن مستقلين فعليا عن الحكم المركزي في تونس مثل الأمير عبد الرحمان في بجاية، أبو بكر في قسنطينة[7].

---

[1] – المرجع نفسه، ص15.

[2] – أحمد سالم: **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م**، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية، 2011م، ص63.

[3] – قسم العرب المسلمون البلاد الذي تقع غرب مصر لثلاثة أجزاء، المغرب الأدنى او إفريقية والمغرب الأوسط الذي يليه وهو موقع الجزائر الحالية، ثم المغرب الأقصى الذي ينتهي بالمحيط الأطلسي، ينظر: مؤلف مجهول: **زهر البستان في دولة بني زيان**، تح: بوزياني الدراجي، ج2، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م ص 15.

[4] – لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص38.

[5] – عائشة غطاس وأخريات: الدولة **الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر**، الجزائر، 2007م، ص11.

[6] – عمار بن خروف: المرجع السابق، ص16.

[7] – لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص39.

أما مدينة الجزائر وسهول متيجة تحت حكم قبيلة الثعالبية، ورئاستهم آنذاك في آل ابن التومي وحفيدهم سيدي محمد المقران[1]، وفي المناطق الجبلية برزت إمارة كوكو تحت قيادة إمارة ابن القاضي[2]، بينما تأسست سلطة بني عباس على يد سيد عبد الرحمن الشريف[3].

1- أحمد بن محمد بن علي سحنون الراشدي: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح وتق: الشيخ المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص16.

2- أحمد ساحلي: **الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد امارة كوكو 1512-1767م**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2015، ص 41.

3 - علي العبيدي: المرجع السابق، ص31.

الفصل الأول:

محاولات استرجاع بجاية من الاحتلال الاسباني

المبحث الأول: الاحتلال الاسباني وردود فعل السكان

أولا: سقوط بجاية على يد الاسبان 1510.

ثانيا: أسباب استنجاد سكان بجاية بالأخوة بربروس

المبحث الثاني: المحاولات العسكرية لاسترجاع بجاية

أولا: المحاولات الأولى لاسترجاع بجاية (1512-1515)

ثانيا: حملة صالح رايس واسترجاع بجاية سنة 1555م

المبحث الأول: الاحتلال الاسباني وردود فعل السكان

أولا: سقوط بجاية على يد الاسبان 1510.

مع مطلع القرن 10هـ -16م كانت منطقة المغرب الأوسط تعاني من فوضى سياسية وانحلال عسكري، وفي ظل انقسام حاد بين الحفصيين في الشرق والزيانيين في الغرب مما أدى إلى ظهور إمارات وقبائل المستقلة تحت قيادة الأولياء الصالحين[1]، بينما كانت أوروبا تعيش زمن الخروج من العصور الوسطى المظلمة. خاصة اسبانيا التي كانت قد انتصرت على آخر إمارة اسلامية بالأندلس وهي غرناطة في سنة 1492م-997 هـ[2]، فقد تمكن الإسبان خلال هذه الفترة 1505م-1535م/911- 942 هـ، أن يحتلوا عدة مدن ومرافئ ساحلية كان أولها ميناء المرسى الكبير 1505م[3] تلاه احتلال مدينة وهران1509[4].

---

[1]- نبيل بومولة: **صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ\ 16م**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2013م،73.

[2]- عمار بن خروف: المرجع السابق، ص16.

[3]- **المرسى الكبير**: شكل أول نقطة احتلها الاسبان في المغرب الأوسط نظرا لموقعه الاستوائي قبالة مدينة وهران، والذي مكنهم من تأمين قاعدة بحرية مهمة لحماية أسطولهم في المنطقة، قاد الحملة دييغو دي قرطبة كقائد عام ينظر: عائشة غطاس، المرجع السابق، ص15. وكذلك:

Boutin, Pierre-Jacques-Nicolas Rolland de, **Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger**, à l'usage de l'armée expéditionnaire d'Afrique, Paris, Ch. Picquet, 1830. P7.

[4]- بعد أن تمكن الاسبان من اختلال المرسى الكبير واتخذوها قاعدة عسكرية سارعوا في الاعداد لحملة استهداف مدينة وهران وقاد الكاردينال خيمنيس التحضيرات ولعب دورا في تنظيم الدعم المالي، ينظر: عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 16. وكذلك: نجيب دكاني: **الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي 16م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، سنة 2002م، ص 26.

ومن الساحل الغربي وجّه الإسبان أنظارهم نحو الساحل الشرقي، فاحتلوا مدينة بجاية. وكانت أوضاعها السياسية آنذاك ملائمة لذلك، بسبب الصراع العائلي القائم حول السلطة[1]، فلم تعد الأسرة الحاكمة متماسكة كما كانت في عهد السلطان أبي عبد الله الحفصي[2]، وقد وصفها أحد سكانها وهو أبو علي إبراهيم المدني بأنها أصبحت ساحة للصراعات المتكررة على الحكم.[3]

وفي هذا السياق، نشب صراع حادبين بني عباس عبد العزيز أمير بجاية وأخيه أبي بكر حاكم قسنطينة[4]، حيث حاول هذا الأخير للسيطرة على المدينة فقام بعدة محاولات بين سنتي 1504-1507م أبرزها حصار بجاية لمدة أربعين يوما سنة 1507م لكنه فشل في اقتحامها[5]، وهذا الوضع الداخلي الهش زاد من أطماع أبي بكر ودفعه إلى شن الحرب على أخيه والاستيلاء على الحكم في بجاية[6].

وفي ظل حالة الاضطراب السياسي والصراع بين الأخوة التي كانت تمر بها بجاية مطلع القرن السادس عشر، وجد القائد الإسباني "بيدرو نافور perdonavaro"[7]، الفرصة مواتية لتنفيذ حملة عسكرية ضد المدينة[8]، فقد أبحر

---

[1]- عائشة غطاس: المرجع السابق، ص 16.

[2]- محمد بن عميرة وبشاري بن عميرة: المرجع السابق، ص 289.

[3]- نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص75.

[4]- يوسف بنو جين: **قلعة بني عباس القرن السادس عشر ميلادي**، تر: سامية سعيد، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص ص 34-35.

[5]- نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، المرجع السابق، ص31.

[6]- المرجع نفسه، ص 76.

[7]- **بيدرو نفارو**: هو الدون ديفو فيل ناديز ديكردوفان، عينة الملك فيردنياندو والكاردينال، خيمينيس قائد عاما عاما للإشراف على الأسطول والقيام بالحملة الإسبانية على السواحل الشمالية للمغرب الأوسط، ينظر: نفسه ص75.

[8]- نفسه، ص78.

من ميناء المرسى الكبير يوم 30 نوفمبر 1509م، متجها نحو جزر الباليار، حيث انضمت إليه قوة دعم إضافية وبعد ذلك، واصل الإبحار على رأس أسطول اسباني يتكون من 22 سفينة كبيرة وعلى متنها حوالي 10 ألاف مقاتل لتصل الحملة إلى سواحل مدينة بجاية في 05 جانفي 1510[1].

وحسب رواية feroud، فقد شرع "بيدرو نافارو" في تجهيز أسطوله وإتجه صوب بجاية في الفاتح من جانفي 1510، وكان جيشه مكون من عشرين إلى خمس وعشرين سفينة على متنها مايربو عن خمسة آلاف رجل وعلى متنها مدفعية مجهزة على أكمل وجه[2] بينما يذكر المؤرخ الإسباني "مارمول" أن "كونت بيدري نابارو" أبحر سنة 1510 في اتجاه بجاية، على رأس حملة بحرية مكونة من أربع عشر سفينة كبيرة محملة بالجنود والعتاد، دون أن يثير ذلك انتباه أحد[3]، وقد جاءت هذه الخطوة في سياق الحرب الإسبانية على معاقل ما أعتبر "القرصنة الإسلامية" في شمال إفريقيا[4].

عند وصول الأسطول إلى سواحل بجاية، فرض حصارا بريا لتأمين عملية الإنزال[5] والتي تمت في منطقة أسفل مزيج الشيخ عيسى الشبوكي، الواقع شمال شرق المدينة بين رأسي كربون وبوافي[6]، وعندما أدرك المسلمون الخطر، خاصة بعدما بلغتهم ولاريب مأساة

---

[1]– بسام العسلي: **خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470–1547م**، ط1، دار النفائس، بيروت 1980م، ص ص 67–68.

[2] -Feroud, op,cit, p 149.

[3]– مارمول كربخال، المصدر السابق، ص 337.

[4]– **القرصنة:** هي نوع من أنواع الجهاد البحري التي كانت تقع بين الدول المتعادية، وكانت الغاية منها حماية المسلمين من جهة وضرب اقتصاديات العدو بالاستيلاء على البضائع الصادرة منه أو الواردة عليه، وبما أن القرصنة التي كانت تمارس من طرف العثمانيين في الحوض الغربي، كانت تخضع لنظم وقوانين ولها تقاليد معروفة فإنه يمكن القول بأنها جهادا بحريا ما دام الغرض منه الدفاع عن أرض الإسلام، فالعثمانيين مسلمين فمن الواجب على المسلم الدفاع عن أرضه. ينظر : أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492–1792**، دار البعث، ش.و.ن.ت، الجزائر، د: ت ، ص 72.

[5]– يوسف بنو جيت، المرجع السابق، ص 43.

[6]– نبيل بومولة: العلاقات الداخلية والخارجية لإمارة أولاد مقران وكوكو خلال القرنين 16– 17م /10_ 11هـ 11هـ المرجع السابق، ص38.

وهران فتنادوا للجهاد واستعدوا للدفاع عن مدينتهم[1]، أسرع السكان المحليون إلى جمع الأسلحة والعتاد الحربية، وتنظيم الصفوف، وتوزعوا على مختلف القلاع والحصون والمواقع الإستراتيجية بالمدينة[2].

كما تسلقت فرقة من المجاهدين تقدر نحو عشرة ألاف رجل مرتفعات جبال القورايا بهدف منع الإسبان من النزول إلى البر[3]، وفي نفس الوقت، بادر أهل بجاية بإخلاء المدينة من الفساد والأطفال، وأرسلوا إلى مدينة جيجل المجاورة، بينما تمركزت بقية القوات في المدينة استعدادا للدفاع عنها.[4]، وأخذت المدفعيتان البجائية البجائية والإسبانية، تستبدلان رمي القذائف[5]، وقسم قائد الحملة (بدرو نافرو) قواته إلى فرقين واجب الفرقة الأولى مجابحة قوة المجاهدين في جبال التورايا، وواجب الفرقة الثانية الانقضاض على بجاية واقتحامها، ودارت من أربعة ألاف مسلم، وتدميرهم للمدينة دمارا تاما تقريبا[6].

لم يكتف "نافارو" بالتكتيك العسكري، بل اتصل بالأمير عبد الرحمن من أجل اخضاعه والقضاء على وجوده الذي يعزز أكثر في استمرارية سكان بجاية على التمرد ضد عمه عبد الرحمن، أما الأمير عبد الرحمن" راح يبرم اتفاقيات مع قبائل الجبال من أجل مقاومة الإسبان، وبعد معارك طويلة خاضها سكان بجاية ضد الإسبان لصدّهم عن التوغّل في المدينة، لم تدم هذه القيادة طويلاً، حيث انتهت

[1]– أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص120.

[2]– نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10ه/16م، المرجع السابق، ص73.

[3]– أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص120.

[4]– بسام العسلي: المرجع السابق، ص68

[5]– أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص120.

[6]– بسام العسلي: المرجع السابق، ص68.

بانسحابهم وعلى رأسهم الأمير عبد الرحمن، بعد أن كبّدوا الإسبان خسائر فادحة ماديًا وبشريًا[1].

شكل سقوط بجاية سنة 1510 نتيجة حتمية لوضع داخلي هش، واستعداد عسكري محكم، لتنتهي بذلك مرحلة من السيادة المحلية وتبدأ فترة جديدة من الاحتلال الإسباني.

ثانيا: أسباب استنجاد سكان بجاية بالأخوة بربروس:

بعد أن سقطت مدينة بجاية في يد الإسبان سنة 1510، تعرضت المدينة إلى حملة تخريب واسعة النطاق، فقد دخل الإسبان بأسطول كبير قوامه حوالي ثلاثين سفينة، وسرعان ما شرعوا في هدم كل القلاع والمنشآت التابعة للسلطان أو الأهالي، إذ تم تدمير قصر الكوكب، قصر الرومي، قصر الرفيع، وكذا جامع عبد الله الشريف، كما وقعت اشتباكات في الحي الجنوبي للمدينة، حيث دار قتال عنيف بين السكان والإسبان في الأزقة، انتهى بسيطرة الإسبان، وهو ما دفع بجزء من الأهالي إلى الفرار نحو الجبال والمناطق المجاورة[2].

من الناحية البشرية، تكبّد سكان بجاية خسائر كبيرة أثناء الهجوم الإسباني. فقد قُتل عدد كبير من السكان الذين دافعوا عن المدينة، وأُسر آخرون ونُقلوا إلى السجون الإسبانية أو بيعوا كعبيد.

وقد تحولت بجاية تدريجيا إلى قاعدة عسكرية اسبانية بعدما أقام الإسبان تحصينات جديدة على رأسها حصن الكوكب وحصن بارال، وأعادوا استعمال بعض البنايات كمخازن ومستودعات، في حين تحولت المساجد إلى ثكنات عسكرية، وذكر "شارال فيرو" أن عدد المساجد التي بقيت على حالها لم يتجاوز 53 من أصل 73، في حين طمست البقية أو

[1]– آمنة بوتشيش: **بجاية من العهد الحمادي إلى الغزو الإسباني دراسة تاريخية وحضارية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة، تلمسان، 2015–2016م، ص ص 74–75.

[2]– لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص151.

أهملت، ولم يعد للسلطان أو سلطته أي آخر داخل المدينة، مما جعل الإسبان السادة الفعليين بجاية[1].

وفي هذه الأجواء، عان السكان من التضييق والقهر، حيث لجأ البعض إلى الفرار، من بينهم عائلة السلطان عبد العزيز التي التجأت إلى آيت أو جابر، في حين توزع آخرون بين الزاواوة وقلعة بني بعلي وبرج حمزة[2]، وبعد أن عمد الإسبان إلى تخريب المدينة وأصبحوا سادة لها، قاموا بتحصينها بنية البقاء فيها فترة طويلة وقد لجئوا إلى سجن بعض سكانها، بينما عرضوا على البعض الأخر ميثاق الأمان، فقبلوا بالعودة، وبلغ عدد السكان القدامى العائدين إلى بجاية نحو ثمانية ألاف، كما أشار "شارل فيرو"[3].

وفي السياق ذاته، ذكر مرمول أن بجاية كانت تضم حامية عسكرية اسبانية قوامها خمسمائة جندي موزعين على الحصون، وكانت هذه القوات تطلق من مواقعها لشن غارات متكررة على المناطق المجاورة[4]، وقد ساهم هذا الوجود العسكري المكثف في فرض واقع الاحتلال بالقوة لاسيما أن المدينة لم تستسلم بشكل كامل، بل شرع سكانها في تنظيم مقاومة مسلحة رغم ضعف الإمكانيات[5] وردا على هذه المقاومة، لجأ الإسبان إلى استخدام أبشع وسائل القمع، والإبادة لكن هذه الوحشية لم تقابل من المجاهدين في سبيل الله إلا بمزيد من التصميم والإصرار[6].

---

[1]- المصدر نفسه، ص 152.

[2]- نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص77.

[3]- لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص 151.

[4]- مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 379.

[5]- لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص 153.

[6]- بسام العسلي: المرجع السابق، ص70.

وأمام هذا الواقع القاسي، وحالة الشلل السياسي والعسكري التي كانت تخيم على المنطقة، بدأ السكان يوجهون أنظارهم صوب الإخوة بربروس اللذين بدأ صيتهما يذيع في الساحل الإفريقي[1]، كقوة إسلامية صاعدة، عرفت بدورها الحاسم والمصيري في نصرة الشعوب الإسلامية شرقا وغربا، وسعيهم إلى انفاذ المسلمين الفارين من الأندلس، من خلال توفير كل أشكال الدعم لهم، وتقوية جانبهم في مواجهة العدو الإسباني[2]، وقد انتشرت شهرة عروج بسرعة في جميع أنحاء منطقة التل، حتى أصبح ينظر إليه في المدن والقرى على حد سواء كرجل المرحلة، لقد صار المجاهد الغازي الذي أرسل لإنقاذ الإسلام من الخطر المسيحي[3].

وهكذا فإن استنجاد سكان بجاية بعروج بربروس لم يكن إلاّ نتيجة حتمية لواقع الاحتلال المدير، وما خلفه من اضطهاد وقمع وتدهور داخلي، دفعهم للبحث عن قوة مساندة تعيد لهم السيطرة على مدينتهم وتحررهم من قبضة الإسبان.

[1]- لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص 151.

[2]- نبيل بومولة: العلاقات الداخلية والخارجية لإمارة أولاد مقران وكوكو خلال القرنين 16- 17م /10_ 11هـ المرجع السابق ، ص 76.

[3]-BOULIFA, S.A., Le Djurdjura à travers l'histoire (depuis l'Antiquité jusqu'à 1830). Organisation et indépendance des Zouaoua (Grande Kabylie), Alger, J. Bringau, Imprimeur-Éditeur, 1925.P100

المبحث الثاني: المحاولات العسكرية لاسترجاع بجاية:

أولا: المحاولات الأولى لاسترجاع بجاية (1512-1515):

برز الاخوة بربروس الذين اشتهروا بإنقاذ اللاجئين المسلمين الفارين من اسبانيا[1]، بعد استقرارهم في حلق الواد حولوها إلى قاعدة بحرية انطلقت منها هجماتهم في البحر المتوسط وأصبحوا يمثلون قوة بحرية إسلامية،[2] تعددت الروايات حول قدوم الاخوة بربروس إلي بجاية[3]، فالمؤرخ التركي عزيز سامح آلتر يقول: "**انتشر اسم عروج في جميع سواحل الشمال الافريقي متموجا بالفرح والسرور، وفي هذه الأثناء طلب منه عبد الرحمان المساعدة من أجل إعادة حقه من حكومة بجاية**"[4].

بينما يذكر خير الدين ذلك في مذكراته بقوله: "**خرجت انا وأخي في عشرة مراكب، كان مقصدنا الذهاب إلى مضيق سبتة الذي يقع في نهاية البحر الأبيض المتوسط، علي أن نمر من هناك إلى الأندلس لنقوم بإنقاذ من نقدر عليه من إخواننا في الدين وفي هذه الأثناء وصل وفد من مدينة بجاية الجزائرية حاملا رسالة جا فيها: إن كان ثمّة مغيث فليكن منكم أيها المجاهدون الأبطال قد صرنا لا نستطيع أداء الصلاة أو تعليم أطفالنا القرآن الكريم لما نلقاه من ظلم الإسبان فها نحن نضع أمرنا بين ايديكم**"[5]، وتشير روايات أخرى إلى أن أبا بكر الوالي

---

[1]- نجيب دكاني: المرجع السابق، ص 48.

[2]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 162.

[3]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص 66.

[4]- عزيز سامح آلتر: **الاتراك العثمانيين في افريقيا الشمالية**، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية بيروت، ط1، 1989م، ص 45.

[5]- خير الدين بربروس: **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد دراج، ط1، الشركة الإسلامية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م ص 67.

الحفصي في قسنطينة، هو من طلب المساعدة من خير الدين بسبب صراعه مع الأسبان[1].

1- 1 المحاولة الأولى 1512م.

تجمعت وفود من المجاهدين حول المدينة، قادمة من أماكن مختلفة. انضمت إليهم جماعات من رجال جبال زواوة الأحرار، وكلهم كانوا على موعد مع القائدين بابا عروج وخير الدين وكان من بين هؤلاء المقاتلين القائد الموفق، الذي قاد حوالي ثلاثة آلاف رجل. وقد غادرت العمارة التركية مرسى حلق الوادي، وكانت تشمل خمسًا من السفن، تحمل السلاح والمدافع والرجال، وأمّت ساحة بجاية حيث وصلتها في الموعد المحدد سنة 1512م[2].

كانت هناك عبارة أسبانية مؤلفة من 15 سفينة، كانت مخيمة على مرسى بجاية، قادمة من إسبانيا قد اعترضت طريق أسطول المسلمين أمام المدينة، ولم يكن في استطاعته مهاجمتها نظرًا لتفوقها العظيم، وفكر الزعيمان في الأمر فاعملا الحيلة، وتظاهرا بالانسحاب فرارًا أمام الأسطول الأسباني. فانطلت الحيلة على الأسطول، وأخذ يتتبع العمارة الإسلامية، إلى أن أصبح تحت مرمى مدفعيتها وعندئذ كرت عليه في حركة بحرية بديعة، وهاجمته بعنف وصرامة، فاستولت على إحدى السفن الإسبانية، وأرسلت بسفينة أخرى إلى الأعماق، وانهزمت بقية السفن على كثرتها. وهنا اختلف رأي القائدين عروج وخير الدين، فالأخير كان يرى وجوب محاصرة المدينة بحرًا، بينما عروج كان يرى وجوب النزول إلى البر[3].

---

[1]- صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص 44.

[2]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 163.

[3] - المرجع نفسه، ص 163.

في ضوء ذلك، نزل عروج مع خمسين جنديا من نخبة القوات التركية بهدف دراسة انسب نقطة للهجوم، لكن الحامية الاسبانية بادرت بقصفهم بالمدفعية[1] اصدر عروج حينها أوامره بمهاجمة السفن الاسبانية التي كانت تحتمي داخل ميناء بجاية، وقد أدى هذا الهجوم إلى استنفار الحامية الاسبانية المتمركزة في القلعة التي فتحت نيران مدافعها على القوات التركية[2]، ويذكر خير الدين بربروس في مذكراته بقوله: "**شرع أخي في مهاجمة القلعة التي كانت تمطر علينا وابلا من قذائف المدفعية والقنابل. خلال ذلك فقدنا ستين شهيد وعددا كبيرا من الجرحى. كنا على وشك الاستيلاء على القلعة، غير أنّه في الوقت الذي اشتد فيه لهيب المعركة أصيب أخي بقذيفة في ذراعه الأيسر.**"[3]، مما اضطره إلى التراجع.

تولى خير الدين قيادة الحملة نيابة عن شقيقه المصاب غير أن حجم الخسائر والاصابات في صفوف قواته جعله يتخذ قرار الانسحاب، فركب الجنود سفنهم وغادروا ساحل بجاية بعد فشل المحاولة [4] ، ويرجع سبب فشل هذه العملية انهم لم يصادفوا نجاحا بسبب تحصينات الاسبان القوية وتعاون أمراء قلعة بني عباس مع الاسبان، [5] ومع ذلك تمكنت هذه المحاولة من تحقيق هدف مهم ، تمثل في اختبار مدى قدرة الاسبان على المقاومة ،كما تركت هذه الحملة، رغم فشلها انطباعا إيجابيا لدى زعماء القبائل البربرية[6].

---

1 - P Christian: **L'Algérie de la jeunesse** ،1847،ALPH desserts éditeur ،Paris ،P.179

[2] – محمد دراج: **الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512– 1543)**، تص: ناصر الدين سعيدوني ط1، شركة االاصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م، ص 189.

[3] – خير الدين بربروس: المصدر السابق، 53.

[4] – محمد دراج: المرجع السابق، ص190.

[5] – يحيى بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر**، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص11.

[6] – محمد دراج: المرجع السابق 190.

2.2 المحاولة الثانية 1514م:

بعد فشل المحاولة الأولى لخير الدين بربروس في تحرير بجاية من السيطرة الإسبانية، أدرك أن تمركزهم بحلق الواد يبعدهم عن ميدان المعركة ولا يساعدهم في التفوق على الاسبان[1] ويعيق تحركاته العسكرية، ولهذا قرر البحث عن قاعدة قريبة من بجاية تسهل عليه تنظيم الهجمات وتنسيق العمليات، وقد وقع اختياره على قلعة جيجل الواقعة على بعد حوالي 120 كلم من بجاية، والتي جعل منها نقطة انطلاق استراتيجية نحو المدينة[2].

وفي هذه الأثناء طلب بعض سكان جيجل[3] مساعدة عروج للتخلص من سيطرة الجنويين على مدينتهم[4]، وقد لبى النداء "ابن القاضي"[5] أحد زعماء القبائل المحلية، حيث تمكن من جمع حوالي 20 ألف رجل لمحاربة الجنويين، وقد أدى هذا التحالف إلى تنسيق مشترك بين عروج وابن القاضي، حيث اتحدت القوات البحرية التي كان يقودها عروج مع القوات البرية بقيادة ابن القاضي، مما عن هذا التعاون تراجع الجنووين وخروجهم من مدينة جيجل[6].

---

[1]– يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص12.

[2]– محمد دراج: المرجع السابق، ص191.

[3]– كانت مدينة جيجل محتلة من طرف قراصنة جنوة الايطاليين منذ عام 1260م كمركز تجاري بين إفريقيا وإيطاليا، ينظر: يحيى بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، المرجع السابق، ص12.

[4]– صالح عباد: المرجع السابق، ص45.

[5]– **ابن القاضي:** هو بن القاضي الغبريني المدعو بوقطاش من الرجال الجزائريين السياسيين والعلماء ورجال الحرب هند ظهور الأتراك وكان في أول الأمر قاضيا على بجاية عن الحفصيين قبل أن يحتلها الاسبان ينظر: عبد الحميد بن أبي زيان بن اشنهو: المرجع السابق، 147.

[6]– نبيل بومولة: العلاقات الداخلية والخارجية لإمارة أولاد مقران وكوكو خلال القرنين 16– 17م /10_ 11هـ 11هـ المرجع السابق، ص137.

ولما وصل عروج إلى بجاية التحق به ابن القاضي وأصبح خليفة له، وعلى إثر ذلك تولدت صداقة متينة بينهما، والتي سيكون لها أثر إيجابي على عروج[1] وفي شهر أوت سنة 1514م، بدأ عروج حملته العسكرية الكبرى على مدينة بجاية وكان يقود جيشا يضم نحو عشرون ألف مجاهد، قام بمحاصرة المدينة واشتبك مع الحامية الاسبانية في معارك عنيفة، وساعده في ذلك قيامه بدراسة دقيقة لتحصينات المدينة من أجل تحديد أماكن ضعفها[2].

بينما يشير خير الدين بربروس في مذكراته قدمنا إلى ميناء بجاية الجزائرية في الفين وثلاثة وثلاثين بحارا وعشرة سفن قادرغة ومائة وخمسين مدفعا والاف الاسرى الذين يقومون بالجدف.[3] حيث مكن تنسيق الهجوم على مدينة بجاية من جيهة البحر بينما تهاجمها جيوش ابن القاضي المكونة من الاف الرجال من جيهة البر[4] وبعد محاولات دامت ثلاثة أشهر تبين لي عروج ان الحصون لا تقتحم على الطريقة التقليدية، فرجع عروج وجيشه إلى مركزه بمدينة جيجل خلال شهر نوفمبر، لكي يقضي فيه فصل الشتاء ويعيد ترتيب جيشه وتزويده.[5]

3-3 المحاولة الثالثة لإنقاذ بجاية 1515:

كان تحرير بجاية في نظر الاخوين بربروس يمثل مرحلة هامة ومصيرية في صراعهما مع الاسبان في معركة فرض السيطرة على الحوض الغربي من البحر المتوسط، ولذلك راحا ينتظران الفرصة التي تمكنهما من تحريرها[6]، وتحرك الاخوة

---

[1]- كورين شوفاليه: **الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510ـ 1541م**، تر: جمال حمادنة ديوان المطبوعات الجامعية ،د،ت، ص 27.

[2]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص168.

[3] - خير الدين بربروس: المصدر السابق، ص 70.

[4]- كورين شوفاليه: المرجع السابق، ص27.

[5] - أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 168.

[6]- محمد دراج: المرجع السابق، ص193.

بربروس في ربيع سنة 1515م حيث قاد عروج جيشه برا نحو بجاية وكانت الحامية الاسبانية مستعدة لمواجهة بكل عزيمة، قرر عروج مهاجمة المدينة بخطة جديدة، إذا استدعى الاسطول البحري للمشاركة، فدخل الاسطول من مصب نهر الصومام وكانت مياه الوادي يومئذ غزيرة وانزل جيشه وراء الحصون المواجه للوادي[1].

تمكنت قوات عروج من اقتحام ميناء بجاية وتقدموا نحو القلعة الداخلية حيث كان القائد " فانتيرا" متحصنا مع جنوده[2]، استمر قصف القلعة أربعة أيام وانتهى بسقوط الحصن الخارجي في يد عروج واسر حوالي 500 جندي اسباني ،[3] فشل الاتراك في محاولاتهم الثانية لتحرير بجاية وكان سبب الفشل هذه المرة تخلي الملك الحفصي عن الدعم[4].

ثانيا: حملة صالح رايس واسترجاع بجاية سنة 1555م:

بقيت مدينة بجاية تحت الاحتلال الاسباني لمدة خمس وثلاثين سنة[5]، وعلى الرغم من المحاولتين اللتين قادهما الاخوة بربروس (1512- 1515) ضد الاسبان الاّ أنهما لم تكللا بالنجاح، وفي هذا المطلب سيتم التطرق إلى حملة تحرير بجاية التي قادها صالح رايس سنة1555 م وقبل سرد أحداث هذه الحملة رأينا أن نشير إلى الأوضاع التي كانت تمر بيها الجزائر عموما وبجاية خصوصا خلال تلك الفترة.[6]

---

[1]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 169.

[2] – بلبروات بن عتو: المرجع السابق، ص 183.

[3] – محمد دراج: المرجع السابق، ص 196.

[4]- المرجع نفسه، ص197.

[5] – مارمول كربخال: المصدر السابق، ص379.

[6]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص93.

وصل صالح رايس الي الجزائر في أواخر أفريل 1552م[1]، بعد تعيينه بايلرباي و يذكر De Grammont ان هذا التعيين جاء نتيجة صداقته مع السفير الفرنسي، الذي قدم له خدامات جليلة في مناسبات عدة[2]، و منذ بداية ولايته، أبدى صالح رايس حرصا على نيل رضا السلطان سليمان القانوني(1520-1566)، فرأى أن ذلك لا يكون بأحراز نصر مبين على الأعداء الإسبان أو إخضاع القبائل المتمردة أو مد النفوذ العثماني إلى المغرب ،[3] حيث سعى الي توحيد مختلف أجزاء الدولة الجزائرية تحت سلطته[4].

واجه صالح رايس[5] تمردات زعماء تقرت والوادي الذين رفضوا دفع الضرائب ، فقام بشن حملة نحو الجنوب وفرض عليهم عقوبات جديدة [6] ، دعيا تحقيق الوحدة بصفة تامة مطلقة من كل أجزاء هذه الدولة الجزائرية، إدخال بقية أجزاء الصحراء الجزائرية [7] كما قاد حملة مدينة فاس التي زادت من شهرته بفضل الانتصارات التي حققها هناك ،وبغية تتويج انتصاره بانتصار أكثر شهرة، عمل على دراسة المواقع الاسبانية دراسة دقيقة، حيث أدرك الأسباب التي دفعت الاسبان اتخاذ تدابير جيدة.[8]

---

[1]- Fray Diego de Haedo: **Histoire des Rois d'Alger**، trad de l'Espagnole par Henri Delma de Grammont، Ed، Alger Grands Livres، Alger ،1881P .86

[2] - Henri .De Grammont : **histoire D'Alger sous la domination turque1515-1830**, Ernest Leroux Editeur ،paris ،1887،p.78

[3]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص94.

[4] – أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص337.

[5]- **صالح رايس**: ولد صالح رايس في الإسكندرية، ونشا منذ صغره بين الاتراك خلال حكم السلطان السليم، الذي دخل إلى مصر وقضى على دولة المماليك، انتقل الي تركيا ومنها الي بلاد البربر، عرف بذكائه وشجاعته ومنذ شبابه اتجه الي البحر رافق الاخوة بربروس وكان من اوفى اصدقائهم. ينظر: عزيز سامح آلتر: المرجع السابق 184.

[6] - H.de Grammont : op,cit, p78

[7]- أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص338.

[8]- عزيز سامح آلتر: المرجع السابق، ص193.

بينما لم تكن الأوضاع العامة في الجزائر تبعث على الاطمئنان، إذا لم تكن البلاد قد تخلصت نهائيا من الخطر الاسباني،[1] كانت الأوضاع في بجاية اكثر سوء فقد نفذت المؤونة والذخيرة، وأنهكت الحامية من شدة الضغط وكان حاكم المدينة قد وجه عدة نداءات إلى المجلس الملكي الاسباني لإنقاذ الوضع دون ان يتلقى أي استجابة،[2] حيت كانت بجاية تضم خمسة الاف رجل من الحامية مسلحين تسليحا ضعيفا، وكانت المدافع غير قادرة على إطلاق النار.[3]

يشير التركي عزيز سامح التر ان حملة صالح رايس جاءت في سياق سياسي، إذا كانت تجري علاقات واتفاقيات بين الشريف الحسن والاسبان لطرد العثمانيين من شمالا فريقيا ، فأستغل صالح رايس هذا الانشغال الاسباني وانطلق نحو بجاية[4] ويؤكد المنور مروش ان صالح رايس كان مطلعا على الاستعدادات الاسبانية مما دفعه إلى التحرك نحو بجاية، واعداد حملة عسكرية.[5]

ثالثا: تحرير بجاية وإلحاقها بالسلطة العثمانية:

انطلقت الحملة على بجاية سنة 1555م، فذكر مارمول كاربخال أن صالح رايس انطلق بقوة ضخمة قوامها أربعين ألف مقاتل بينهم عشرة آلاف جندي مسلحين ومدعومين بـ 22 سفينة حربية صغيرة، دون تحديد دقيق لتاريخ الانطلاق[6]، أما Haedo فيحدد البداية بشهر جوان 1555م، حيث انطلق صالح رايس من الجزائر بجيش يضم ثلاثة آلاف من الأتراك والموريين المسلحين، وأرسل

---

[1]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص 96.

[2] - De Grammont: op،cit، p .82

[3]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص 96

[4]- عزيز سامح التر: المرجع السابق، ص ص 193-194.

[5]- المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الاساطير والواقع**، ج3، دار القصبة للنشر، الجزائر،2009م، ص 130.

[6]- مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 379.

عبر البحر سفينتين شراعيتين ومركبا للنقل، بالإضافة إلى المؤونة والذخائر[1] ويذكر De Grammont أن الانطلاق كان بتاريخ 16 سبتمبر[2]، في حين يشير المؤرخ Mercier أن بداية الحملة كانت بنهاية شهر أوت، مشيرا إلى مرور الجيش عبر منطقة القبائل، حيث انضم إليها ابن القاضي بقوات محلية، واتجهوا غربا عبر وادي الصومام نحو بجاية[3].

بدأ صالح رايس بمحاصرة المدينة من البر والبحر، وتمكن من اقتحام الحصن الامبراطوري بعد خمسة أيام من القصف ثم انتقل لحصار حصن البحر[4]، يذكر Haedo تفاصيل دقيقة، حيث نصب العثمانيين بطاريتين مدفعيتين صباح يوم الجمعة، الأولى من الجهة العليا التي تشرف على المدينة، والثانية بقيادة القائد يوسف الذي قصف القصر الواقع عند مدخل المرفأ، وكان محصنا بستة مدافع، كم يذكر أيضا ان مدفعية العثمانيين استهدفت أيضا سفينة اسبانية قادمة بالذخيرة[5]،وأكد De Grammont سقوط قصر البحر بعد يوم ونصف من القصف، تلاه سقوط القصبة في اليوم السادس[6].

ويذكر elie de laprimaudar ان صالح رايس أمر بالهجوم من كلا الجانبين ،قتل عدد كبير من الناس، بعد ذلك اليوم لم يدخل أحد إلى بجاية ومع ذلك لم يكن من الممكن الاستمرار في المقاومة فقررنا الانسحاب[7]، وبعد الحصار الشديد الذي فرض على مدينة بجاية من طرف صالح رايس حيث تعددت الروايات حول كيفية استسلام الحامية الإسبانية إذا يذكر مارمول كاربخال أن الحاكم الاسباني استسلم بعد أن أخذ العهد بإخلاء سبيله هو وجميع من كانوا معه بداخل الحصن، وبتمكينه من السفن ليبحر بها إلى إسبانيا، لكن التركي

---

[1] - Haedo: op,cit,p .93

[2] - De Grammont: op,cit,p.81

[3]-Mercier **Ernert: Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berbère) depuis les temps les plus‹reculées jusqu a la**, Conquête ‹Française 1830 Paris 1868‹P 80

[4]- مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 380.

[5] - Haedo: op‹cit‹p.94

[6] - De Garammont: op‹cit‹p .81

[7] - Elie de la primaudar: **Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique - 1506-1574,** A ‹Jourdan, Alger, 1875,p.274

لم يوف بوعده، بل أسترق جميع من كانوا بالحصن[1]، أما Haedo فيذكر أن الاستسلام تم بشروط تحفظ شرفه، أهمها السماح له باختيار أربعين رجلا لمرافقته إلى إسبانيا دون الإشارة الي خرق الاتفاق[2].

أما De Garammont فيؤكد أن الأتراك عرضوا شروطا إنسانية تشمل ترحيل الجنود والسماح للسكان بأخذ ممتلكاتهم لكنهم لم يلتزموا بها وأسرو الجميع ماعدا القائد وبعض الجرحى [3] وفي 28 من الشهر، دخل صالح رايس بجاية فأستولى على الأسلحة وأسر 600 شخص، وغنم الأسلحة والذخائر بعد انسحاب الاسبان، الذين لم يتبقى لهم سوى وهران والمرسى الكبير، ترك صالح رايس بجاية تحت قيادة " علي صاردو" لحماية المدينة[4]، دخل الجزائريون لمدينة بين هتاف التهليل والتكبير، واحتلوها وبادروا قبل كل شئ بتحريرها ما كان باقيا من مساجد، فنزعوا ما كان عليها من صلبان، وأعادوها معابد اسلامية ، وأخذ الناس يعودون لسكنى بجاية سواء كانوا من سكانها الاقدمين الذين خرجوا منها عندما اعلنت سياسة التنصير الإجباري أو من جاء معهم من جموع أخرى[5].

يذكر"Haedo" أن صالح رايس جمع الغنائم وألقى القبض على 400 رجل و100 إمرأة[6]، ومع بداية شهر سبتمبر من نفس السنة أرسل صالح رايس إلى السلطان بهدايا مع تقرير حول الاستلاء على بجاية وطلب منه الدعم بإرسال جيش للاستيلاء على وهران والمرسى الكبير[7]، وعند تجهيز الحملة على وهران أصابه الوباء وتوفي على إثره في شعبان 963هـ- 1556م[8].

---

[1] – مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 380.

[2] - Haedo: op،cit،p95.

[3] - De Grammont : op, cit،p81.

[4] – عزيز سامح آلتر: المرجع السابق، ص 195.

[5] – أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 348.

[6] - Haedo: op،cit،p.95

[7] - Haedo : op،cit،P95

[8] – عزيز سامح آلتر: المرجع السابق، 196.

الفصل الثاني

بجاية تحت الحكم العثماني 1555-1830م

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والإدارية

أولا: أساليب الحكم العثماني في بجاية

ثانيا: التنظيم الإداري للمدينة.

المبحث الثاني: الأنشطة الاقتصادية

أولا: النشاط الزراعي

ثانيا: النشاط الصناعي

ثالثا: النشاط التجاري

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية

أولا: الفئات الاجتماعية

ثانيا: العادات والتقاليد

ثالثا: الأوضاع الثقافية

المبحث الأول: الأوضاع السياسية والإدارية:

أولا: أساليب الحكم العثماني في بجاية:

منذ أن وطأت أقدام الأتراك العثمانيين أرض الجزائر، بدأوا ينظرون إلى منطقة القبائل نظرة خاصة، لا من أجل ثروتها، فهي منطقة جبلية فقيرة، إنما لموقعها الاستراتيجي الذي يتوسط الطريق بين بايلك الشرق ودار السلطان[1]، كما مكنهم موقع بجاية من مراقبة الطرق البحرية والحيوية التي تربط بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي، مما أتاح للأسطول العثماني حرية الحركة والسيطرة البحرية فضلا عن ذلك وفر ميناء بجاية الطبيعي المحمي ملاذا أمنا للسفن البحرية[2].

لترسيخ نفوذهم في هذه المدينة، لجأ العثمانيون إلى مجموعة من الأساليب الإدارية والسياسية، كان أبرزها اعتمادهم على الطرق الصوفية المنتشرة في الأرياف، مستفيدين من المكانة الروحية والاجتماعية لشيوخ الزوايا والمرابطين في تهدئة السكان وكسب ولائهم كما تبنت السلطة العثمانية سياسة تفكيك القبائل ومنع توحدها، وهي السياسة المعروفة بـ" فرق تسود" التي ساعدتهم على أضعاف أي تحرك جماعي أو محاولة الاتحاد بين القبائل[3].

وفي مواجهة أي اضطرابات أو مقاومة محلية، لجأ العثمانيون إلى استمالة الرموز الدينية والاجتماعية ذات التأثير الشعبي، كما حدث مع المرابط سيدي المقراني، الذي أستخدم كوسيط لتليين مواقف سكان بجاية وضمان ولائهم للسلطة

---

[1]- نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص93.

[2]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص147، ينظر كذلك إلى الملحق رقم 5.

[3]- نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني إمارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص ص 97-98.

العثمانية، ومن الوسائل الأخرى التي استخدمها العثمانيون أسلوب المصاهرة مع العائلات النافذة.[1]

اعتمد نظام الحكم العثماني في الجزائر على أسس سياسية وإدارية هدفت إلى بسط نفوذ السلطة وضمان الاستقرار داخل المدن، ومن أجل تأمين مدينة بجاية على وجه الخصوص، عملت السلطة على إقامة عدد من التحصينات الدفاعية التي شكّلت جزءًا من سياستها العامة في حماية المراكز الحضرية.

حرصت السلطة العثمانية بعد استعادة مدينة بجاية على تعزيز دفاعاتها، ونظرا لموقعها الاستراتيجي الذي جعلها عرضة لغزوات الدول الاوربية لذلك عملوا على تحصينها وتحسين بنيتها الدفاعية [2] تمثلت أولى الخطوات في تثبيت حامية عسكرية دائمة، أوكلت اليها مهام حفظ الأمن داخل مدينة بجاية وضواحيها [3]

وقد تشكلت هذه الحاميات من الجنود الإنكشارية الذين كانوا يعرفون بـ النوبة إضافة الي فرسان وقبائل المخزن[4] الذين خضعوا للسلطة الباشوات كانت القوات موزعة على المدن والقرى وتتمركز أساسا على أبراج [5] ومن بين أهم القوات التي استعان بيها العثمانيون هي فرق الزواوة وهي قوات مرتزقة تتكون من أبناء قبيلة

---

[1]- المرجع نفسه، ص110.

[2]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص 168.

[3]- جميلة معاشي: **الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة قسنطينة، 2007- 2008م، ص85.

[4]- **قبائل المخزن:** لهم امتيازات لدى الدولة التركية منها، أنهم معفون من الضرائب (اللزمة) التي يلزم بها غيرهم، بيد أنهم يخدمون الدولة ببعض الخدمات العسكرية من حيث تلبتهم عند الاستنجاد بهم ، كما أنهم يخدمونها ببعض الخدمات الادارية من حيث جمع الضرائب التي تفرض على غيرهم من القبائل الخاضعين لحكم الاتراك وأدخالها في خزانة الدولة. ينظر محمد بن ميمون الجزائري: **التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية**، تح وتق: محمد بن عبد الكريم، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981م ص39.

[5] - لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص 161.

زواوة المنتشرة بين وادي يسر وبجاية، كانت هذه القوات تستدعى عادة لإخماد الثورات أو التصدي للهجمات الخارجية على الايالة، لم تكن مخصصة فقط لجمع الضرائب، وقد كانت تمول وتجهز بالذخيرة الحربة من قبل السلطة العثمانية[1]، يذكر مارمول أن بجاية كانت تضم حامية عسكرية قوامها حوالي 500 جندي موزعين على ثلاث قلاع،[2] وبعدا استرجاع المدينة من الاسبان أبقت السلطة العثمانية على حامية تتراوح ما بين 150 إلى 200 جندي، موزعين بدورهم على القلاع الثلاثة[3].

وكانت هذه الحامية تستبدل بحامية جديدة مرتين في السنة الأولى في بداية الخريف، والثانية في بداية الربيع،[4] وفي مرحلة لاحقة وتحديدا خلال أواخر حكم الايالة ، أشار شارل فيرو إلى أن الوجود العسكري في بجاية قد تراجع بشكل ملحوظ، حيث انخفض عدد الجنود إلى 60 جنديا فقط، موزعيين كالتالي:

- الأغا رفقة 28 جنديا في برج القصبة
- البولك باشي ومعه 16 جنديا في برج موسى.
- الكخيا معه 16 رجلا في برج عبد القادر[5].

أما على مستوى التحصينات العسكرية، فقد لعبت الأبراج والقلاع دورا هاما في الدفاع عن المدينة من أبرز هذه الأبراج:

- حصن الامبراطور(برج موسى أو بارال)[6] بني من طرف الاسبان في أوائل أوائل القرن السادس عشر على أنقاض قصر النجمة، وكان أول برج يسترجعه

[1] – جميلة معاشي: المرجع السابق، ص85.

[2] – مارمول كربخال: المصدر السابق، ص 379.

[3] – لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص193.

[4] – لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص163.

[5] – لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص193.

[6] – نسبة الي الجنرال دو باربال الذي دفن في هذا الحصن وقد غير اسمه الأصلي " موسى" ووضع مكانه اسم باربال. ينظر: المصدر نفسه، ص170.

صالح رايس بعد طرد الاسبان، وخضع البرج لاحقا لتعديلات واسعة وكان يحرصه 16 جنديا وبه 4 مدافع، وخضع أيضا لتعديلات خلال العهد الفرنسي.

- برج عبد القادر: هو البرج الوحيد الذي كان موجود بالمدينة أثناء الاحتلال الإسباني سنة1510، غير أن الإسبان جددوه وجعوا منه أحد الحصون الهامة بالمدينة، أثناء هجوم صالح رايس صمد أمام المهاجمين لمدة خمسة أيام، وبعدها عدل من طرف العثمانيين[1].

- حصن القصبة: هي قلعة كبيرة تعود إلى عهد الموحدين بنيت على مساحة شاسعة وخضعت إلى تعديلات في العهد العثماني[2]، كما قام حسن باشا باتخاذ إجراءات دفاعية مهمة لتعزيز السيطرة على المنطقة ومن بين هذه الإجراءات، بناء حصنين بارزين لحماية المدينة أولهما حصن البرج والمعروف حاليا ببرج بوعريريج برج حمزة ، كان الهدف من وراء هذه التحصينات تثبيت أقدام العثمانيين في النواحي الشرقية، وتأكيد سلطتهم على كامل تراب الجزائر[3]، وفي إطار تحصين المدينة قامت السلطة بتنصيب البطاريات عند كل برج وحصن ونظرا لأهمية مدينة بجاية وميناءها الذي كان ملجا وملاذا لأسطول الايالة طول العثماني، فقد أولى الحكام الاتراك العناية الكبيرة بتحصينها والحرص على ترميم ما يلحق به[4].

ثانيا: التنظيم الإداري للمدينة:

قبل التطرق إلى التنظيم الإداري الذي طبقته السلطة العثمانية في بجاية ونواحيها، تجدر الاشارة إلى أن التنظيم الإداري في الجزائر إبان العهد العثماني

---

[1]- مولاي بلحميسي: **المدفعية الجزائرية في العهد العثماني**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (الحلقة الثالثة)، جامعة الجزائر، 1989م، ص، 165.

[2]- المرجع نفسه، ص166.

[3] - نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص104.

[4]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص172.

كان مستمدا من الإدارة في الدولة العثمانية نفسها[1]، وبعد أن ألحقت بجاية بالحكم العثماني شرع قائدها "علي صاردو" في تلقي أوامر وتعليمات البايلرباي صالح رايس، كما أن مهمة السلطة العثمانية في المدينة لم تكن سهلة، إذ واجهتها جملة من التحديات، تمثلت في البعد الجغرافي لبجاية عن مركز الحكم بالعاصمة الجزائر، فضلاً عن طبيعتها الجبلية الوعرة التي تحيط بها من كل الجهات، وهو ما فرض على الإدارة العثمانية البحث عن آليات خاصة لضمان بسط نفوذها وإحكام سيطرتها على المنطقة[2].

ومن الناحية الإدارية، قسمت الايالة الجزائرية إلى ثلاثة بايلكات، بايلك الشرق، بايلك التيطري، وبايلك الغرب، بالإضافة إلى " دار السلطان" التي تمثل السلطة المركزية في الجزائر وقد الحقت بجاية إداريا ببايلك الشرق وبين دار السلطان[3]، كما حظي جهاز القضاء بأهمية خاصة ضمن التنظيم الإداري العثماني، حيث استند إلى الشريعة الإسلاميةحظي جهاز القضاء بأهمية خاصة ضمن التنظيم الإداري العثماني، حيث استند أساسًا إلى الشريعة الإسلامية. وبعد استيلاء العثمانيين على الجزائر، نتيجة الغزوات الصليبية التي أدت إلى سقوط مدن الشواطئ الجزائرية مثل وهران وبجاية، احتضنت الجزائر نخبة من فقهائها المالكيين. ورغم أن المذهب الرسمي للدولة العثمانية كان المذهب الحنفي[4].

وقد أولت السلطة أهمية كبرى لهذا الجهاز، إذ حرصت على تعيين قاضي في كل مدينة من مدن الإيالة، بتولي النظر في قضايا السكان وحل النزاعات، وفي مدينة بجاية عرف القضاء بتنظيم مزدوج يراعي التعدد المذهبي، حيث وجد قاضيان أحدهما حنفي يشرف قضايا الأتراك والكراغلة، والآخر مالكي يعتني

---

[1] – خليفة حماش: **العلاقات بين ايالة الجزائر والباب العالي من سنة1798 الى 1830م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة اسكندرية، مصر، 1988م، ص 89.

[2] – لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555–1833م، المرجع السابق، ص125.

[3] – نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص 94. كذلك ينظر الملحق رقم 10.

[4] – ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي بوعبدلي: **الجزائر في العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،1982م، ص137.

بشؤون الأهالي المحليين، كما وجد مفتيان أيضا حنفي ومالكي، الأول كان يعين من اسطنبول إلى جانب القاضي الحنفي، وكان يتولى الاشراف على مؤسسة "سبل الخيرات"، وكلف أيضا بالعبادة وتسيير شؤون بعض المساجد[1]، ويحتل المرتبة الثانية بعد القاضي من حيث الأهمية، أما المفتي المالكي فكان يعين من طرف الديوان بالتشاور مع موظفي المساجد ويهتم بقضايا السكان[2].

وكان تعيين القضاة المالكية في بجاية من اختصاص الباشا الذي يختارهم من بين علماء المذهب المالكي وفقهائه، ومن الأمثلة على ذلك تعيين محمد بن سيدي الحسن قاضيا مالكيا على بجاية سنة 1766م، كان القاضي المالكي يمارس مهامه غالبا في السوق، الذي كان يعد بمناسبة أسبوعية يجتمع فيها السكان المدينة والمناطق المجاورة، فيعرضون عليه منازعاتهم[3].

المبحث الثاني: الأنشطة الاقتصادية:

شهدت مدينة بجاية خلال العهد العثماني نشاطا اقتصاديا متنوعا، تأثر بطبيعتها الجغرافية وموقعها الاستراتيجي ويهدف هذا المبحث إلى ابراز مظاهر النشاط الزراعي، والصناعي، والتجاري في بجاية.

[1] – لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص193.

[2] – لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555–1833م، المرجع السابق، ص 129.

[3] – المرجع نفسه، ص129.

أولا: الزراعة:

تعرف منطقة بجاية منذ القدم بأرضيها الواسعة وسهولها المنبسطة[1]، إلى أن الغالب عليها هو الطابع الجبلي، فهي منطقة ذات تضاريس وعرة ومساحات زراعية قليلة [2]، و رغم ذلك تمارس الفلاحة في بجاية ونواحيها كغيرها من المناطق القبلية، وتقوم أساسا على الطرق البدائية ، مع الاعتماد في الحراثة على الحيوانات كالحمير والبغال.وتعد زراعة الزيتون من أكثر الزراعات التي تستحوذ على نشاط السكان، فهي تمثل عمود النشاط الفلاحي في المنطقة [3].

وتغرس أشجار التين والزيتون في أحواض الأودية ذات الموارد المائية، وفي البساتين المسقية، وكذلك في المناطق الجبلية التي تحتوي على ينابع دائمة الجريان وتقدم هذه الأشجار المثمرة محصولا معتبرا وتلعب دورا بارزا في حياة السكان مثل التين والزيتون[4]. إن القمح والشعير يعتبران من المواد الأساسية التي يستهلكها سكان بجاية والمجتمع الجزائري عموما[5]، كما تختلف مردودية الهكتار الواحد من منطقة إلى أخرى حسب طبيعة التربية وكمية الأمطار، وتعتبر زراعة الحبوب ركيزة الحياة الاقتصادية للسكان[6].

---

[1]- نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص29.

[2]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص 223.

[3]- المرجع نفسه، ص223.

[4] - يحيي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، **مجلة الثقافية والسياحة**، عدد مارس، (و.ن.ت)، الجزائر، افريل 1984م، ص 166.

[5]- نبيل بومولة: العلاقات الداخلية والخارجية لإمارة أولاد مقران وكوكو خلال القرنين 16- 17م /10_ 11هـ المرجع السابق، ص 236.

[6] - يحيي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر المرجع السابق، ص164.

توجد في بجاية غابات كثيفة، والمنطقة غنية بمنابع المياه وكثرة البساتين التي تحتوى على مختلف الثمار[1]، في فصل الربيع من كل سنة يقوم أهالي الشرق الجزائري بجني الشموع [2]، إضافة إلى اعتمادهم على التين المجفف والبلوط[3] وكانت المنتجات في المنطقة متنوعة، منها الحبوب، الصوف، الجلود، العسل[4] إلى جانب تربية المواشي التي كانت تمارس في نطاق واسع[5].

لقد ساهم الإنتاج الزراعي لهذه المنطقة بقسط وافر في اقتصاد الجزائر خلال الفترة العثمانية[6]، كانت منطقة بجاية خلال العهد العثماني تضم أعداد كبيرة من رؤوس الحيوانات، مثل الأغنام والأبقار، والماعز، والبغال[7]، وتعد الثروة الفلاحية من الخصائص العامة للمراكز الحضارية التي تميز بها بلاد البربر الثرية بالقمح والحيوان[8]، وقد ارتبطت تربية الماشية بطبيعة بجاية الجبلية، فكانت من أقدم الحرف التي مارسها السكان لتحقيق اكتفاء الذاتي[9].

ثانيا: الصناعة:

1- مقوماتها:

---

[1] – مارمول كربخال: المصدر السابق، ص374.

[2]– محمد العربي الزبيري: **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، ط1، ش.و.ن.ت، الجزائر 1975م، ص99.

[3]– حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تق وتع وتح، محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP سلسة التراث، الجزائر، 2005م، ص 24.

[4] -A. **prigent: Atravers verres l'Algérie p province de Constantine et Kabylie**, librairie hachette ،paris ،1914،p.166

[5]– لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555–1833م، المرجع السابق، ص 225.

[6]– نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص30.

[7]– المرجع نفسه، ص34.

[8]– اندري برنيان وآخرون: **الجزائر بين الماضي والحاضر** ، تر: رابح اسطمبولي واخرون، م. و. ق م، الجزائر، 1984م، ص 163.

[9] – محند آكلي آيت سوكي: **القوى الدينية في المنطقة القبائل تأثيرها وادوارها وبعض مواقفها في المجالات الحياتية من من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر 16. 19م**، الاصالة للنشر، الجزائر،2020م، ص 45.

يعد النشاط الصناعي في منطقة بجاية نشاطا ثانويا من حيث الترتيب بعد النشاط الفلاحي، إلا أنه يشكل في الواقع عنصرا مكملا له.[1] وقد ساهمت عدة عوامل في قيام هذا النشاط وتطوره، من أبرزها توفير الثروات الطبيعية كالحديد والحجارة، والخشب،[2] التي شكلت قاعدة مهمة للموارد الأولية، كما عرفت بجاية منذ منذ القدم بالحرف اليدوية والمهن الصناعية التي كانت منتشرة في مختلف أنحاء الجزائر[3] وقد برع سكان بجاية من مهاراتهم في هذا المجال مستفدين من الموارد المتاحة لهم، مما أدى إلى تنوع الصناعات تبعا لاختلاف الجهات والموارد المتوفرة.[4]

2- أنواعها:

2-1 صناعة النسيج والجلود:

تعد صناعة النسيج من أقدم الصناعات في منطقة بجاية حيث تعتمد على المواد الخام المحلية، كالصوف والكتان،[5] وتعد الصناعة القبائلية فرعا تقليديا من هذا النشاط، تخصص فيه النساء وفقا لعادات متوارثة إذا يقمن بنسيج الصوف وتشكيله على هيئة أقمشة تستعمل في صناعة[6]، كما تعرف المنطقة بدباغة الجلود[7].

---

[1]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص229.

[2] - المرجع نفسه، ص229.

[3]- نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق ص 35.

[4] - يحيي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر المرجع السابق، ص 168.

[5] نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص36 ص36

[6] -Rozet, **Claude Antoine et Carette. Algérie**. Librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1885.P31

[7]- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 200.

وهي حرفة قديمة تشمل صباغة الجلود لاستخدامها في صناعة الأحذية، وأغلفة السكاكين ،وبعض الألبسة الواقية في الحروب، وقد برزت بجاية على وجه الخصوص في هذا المجال، واشتهر أهلها باهتمام الكبير بهذه الحرفة [1] وتجدر الإشارة كذلك إلى وجود مصنع صغير للأقمشة البيضاء، ويعرف محليا لدى القبائل باسم" اكليل" يستعمل فيه القطن وتسبغ الاقمشة يدويا، ويعد من المراكز الصناعية النادرة في بلاد القبائل، حيث يصنع السكان ملابسهم بأنفسهم [2] مما يعكس الطابع الذاتي والمحلي لهذا النشاط الصناعي.

2-2 صناعة الأسلحة:

عرفت بجاية تطورا مبكرا في صناعة الأسلحة بفضل وفرة الموارد الأولية [3] مثل الحديد والنحاس والخشب، المستخرج من وادي الصومام ومحيطه [4] اشتهر الحرفيون بصناعة السيوف، والرماح [5]، كما تميزت بجاية بصناعة البنادق الطويلة المزخرفة بالنحاس والأحجار الملونة وكان السكان يصنعون البارود محليا [6] وكذلك يصنعون رصاص صغيرا يستعمل في أغراض الصيد[7] مما يعكس تقدم الصناعة، الصناعة، كما عرفت قبائل " فليسة" و" بني عباس" اتقانهما لهذه الحرفة وممارستها

---

[1]- كيسة بو لجنت: **العادات والتقاليد في بلاد زواوة بين القرنين 17ــ 19م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر2، 2010م، ص63.

[2] Rozet, claude Antoine et Carette :op،cit،p.31

[3] - نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص38.

[4]- محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص201.

[5]- مارمول كربخال: المصدر السابق، ص374.

[6]- فندلين شلوصر: **قسنطينة أيام الحاج احمد باي (1832ــ 1837)**، ترج وتق: أبو العيد دودو، ش. و. ن.ت، الجزائر، د. ت، ص 96.

[7] - Eugene Daumas: **Mœurs et de coutumes de l'Algérie**،ANEP،Algérie ،2006،p.230

لتجارة البنادق محليا،[1] كما اشتهرت المنطقة بصناعة الآلات الفلاحية كالمحراث والمنجل بالإضافة إلى الآلات المستعملة في عصر وطحن الزيتون.[2]

2-3 الصناعة الخشبية:

كان سكان بجاية على وعي كبير بأهمية الاخشاب المتوفرة في منطقتهم، فاستغلوا هذه الثروة الطبيعية بحكمة لضمان تدفق مادة الخشب، والتي استخدم في مجالات حيوية، أبرزها بناء السفن الحربية والتجارية.[3] نظرا لأهمية الغابة في الحياة اليومية لسكان المنطقة، خاصة في المناطق الجبلية، فوفرة الغابات الكثيفة دفعت السكان إلى استغلال مواردها بشكل دائم[4]، وقد تمثل هذا الاستغلال أساسا في صناعة الأدوات المنزلية، حيث استفادوا من وفرة الاخشاب في جبال بجاية لصناعة الأبواب والنوافذ واعتبارها من مستلزمات البناء[5]، كما اشتهر سكان بجاية ونواحيها بجلب الخشب من غابات الجبل لاستخدامه في صناعة السفن[6] وتجهيز السفن الحربية الصغيرة ،[7] مما يعكس اسهامهم في دعم القوة البحرية للجزائر آنذاك.

---

[1]- كيسة بولجنت: المرجع السابق، ص 58. وكذلك:

Rozrtte et Carette: op, cit, p31

[2]- نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص39. ينظر كذلك الملحق رقم 11-12.

[3]- لخضر بوطبة: غابات منطقتي بجاية وجيجل ودورهما في تدعيم قوة الاسطول الجزائري خلال العهد العثماني، **المجلة التاريخية الجزائرية**، ع05، مخبر الدراسات والبحث في الثورة التحريرية، جامعة المسيلة ديسمبر 2017م، ص48.

[4]- نبيل بومولة: العلاقات الداخلية والخارجية لإمارة أولاد مقران وكوكو خلال القرنين 16- 17م /10_ 11هـ 11هـ المرجع السابق، ص248.

[5] - المرجع نفسه، ص40.

[6] - نور الدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، دار دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص 65.

[7] - مارمول كربخال: المصدر السابق، ص337.

2-4 الصناعة الغذائية:

شهدت بجاية خلال العهد العثماني نشاطا ملحوظا في الصناعات الغذائية، خاصة في صناعة زيت الزيتون، التي انتشرت بفضل وفرة المادة الأولية في بجاية[1]، كما عرفت بجاية بوجود مطاحن الدقيق ، التي شكلت موردا أساسيا في الحياة اليومية، إلى جانب ذلك اشتهرت بعض العائلات الأندلسية بصناعة المربى من الفواكه المجففة كتين والمشمش[2]، مما يعكس تنوع الأنشطة الاقتصادية.

ثالثا: التجارة:

احتلت التجارة مكانة مهمة في النشاط الاقتصادي لبجاية خلال العهد العثماني، رغم أنها جاءت بعد الفلاحة والصناعة[3]، وقد ساهم موقع المدينة الاستراتيجي بين بايلك الشرق ودار السلطان، وتحكمها في الطريق السلطاني المار بلقعة بني عباس ببجاية، في جعلها مركزا للتبادل التجاري بين الشرق البلاد ووسطها.[4]

1- التجارة الداخلية:

شكلت التجارة عنصرا أساسيا في الحياة الاقتصادية لسكان بجاية خلال العهد العثماني، حيث انتشرت عبر القرى والمراكز العمرانية بمختلف أحجامها، خاصة خلال فصول الربيع والصيف والخريف، بينما تراجعت في الشتاء بسبب الظروف المناخية وقلة المنتوج،[5] وقد نظمت الأسواق وفق دورة أسبوعية وتنوعت فيها

---

[1] – محند آكلي آيت سوكي: المرجع السابق، ص48.

[2] – نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق ص40.

[3] – لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص 246.

[4] – محند آكلي آيت سوكي: المرجع السابق، ص ص 51-52.

[5] – يحيي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر المرجع السابق، ص ص 172-173.

البضائع بين الحبوب، والخضر، والفواكه، الأسلحة ... وغيرها،[1] حيث كانت القبائل تعرض فائض انتاجها في اطار التبادل التجاري[2] مما ساعد على انتشار هذا النوع من التجارة هو ارتفاع الكثافة السكانية وتنوع القرى على المناطق الجبلية، كما استورد سكان بجاية ثيران الحراثة من الشرق الجزائري، وجلب اللحوم من المناطق الغرب،[3]

2- التجارة الخارجية:

لعبت بجاية خلال العهد العثماني دورا مهما في التجارة الخارجية، مستفيدة من موقعها الساحلي وتوفرها على موانئ وطرق تجارية ساهمت في ربطها بمناطق الايالة الجزائرية وبالعام الخارجي،[4] وقد مكنها هذا الموقع من الحصول على موارد مختلفة وتعزيز نشاطها التجاري، ومن أبرز مظاهر هذه التجارة ارتباطها بالقوافل الصحراوية الكبرى التي كانت تنتقل بين موانئ بجاية وأسواق وواحات أعماق الصحراء الكبرى، مثل النجير...، وتجدر الإشارة إلى أن هذا النشاط لم يكن مستقلا، بل كان خاضعا لإشراف الحكومة، بحكم تبعية بجاية للبايك قسنطينة[5].

---

[1]- يحيي بوعزيز: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر المرجع السابق، ص173.

[2] - لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص 254.

[3] - نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق ص47.

[4]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص 256.

[5]- نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق ص ص 49-50

المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية:

أولا: الفئات الاجتماعية:

تميز المجتمع البجائي خلال العهد العثماني بتنوعه العرقي وتعددها الثقافي إذ ضم سكانها البربر، الاندلسيين، الأتراك، الذميين وقد تميزت العلاقات بينهم بالتعايش والانسجام[1].

1- الأمازيغ:

شكل البربر الغالبية السكانية، سواء في المدينة أو في المناطق المجاورة لها، حيث حافظو اعلى لغتهم الأصلية وتقاليدهم وكانوا يعيشون في إطار نظام "الجماعة " وهو نظام اجتماعي محلي ينظم شؤون القرى والقبائل ويعتمد على التشاور واحترام العرف السائد[2]، كما برز دور المرأة في الحياة اليومية، خاصة في الريف حيث ساهمت في الاقتصاد المحلي من خلال الغزل وصناعة البرنوس المنتشر في قبائل مثل بني عباس، أي لم تكن النساء عاطلات عن العمل بل قامت في انتاج القماش الأبيض من الصوف.[3]

2- الأندلسيين:

شهدت بجاية خلال القرن السادس عشر توافد متزايد للأندلسيين الذين كانت هجرتهم نحو المنطقة نتيجة مباشرة لسقوط غرناطة سنة 1492م وما تعبه اضطهاد المسلمين الفاريين من الاسبان وقد بدأت هذه الهجرة حتى قبل قيام الدولة الحمادية لكنها بلغت أوجها في عهد الحفصيين، خاصة بعد حروب الاسترداد.[4]استقر

---

[1]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص 206.

[2]- المرجع نفسه، ص 207.

[3] - Eugene Daumas: **Mours et coutumes de l'Algérie،Tell -Kabylie Sahara**2،Edition ،librairie de la Hachette et Cie rue pierre -Sarrazin،paris ،1855p.186

[4] - Robert Brunschvicg : **La Berbérine orientale sous les Hafsides ،Des origines a la fin du XVe siècle** ،tome l Thèse principale pour le doctorat ès lettres ،présentée a la Faculté des Lettres d'Alger،Paris، Adrien -Maisonneuve 1940،P383

الأندلسيين في ضواحي المدينة، لاسيما في الجهة الشرقية وفي البساتين المحاذية لمنطقة الصومام، حيث مارسوا الزراعة التي كانت أبرز اختصاصاتهم[1].

وقد ساهموا تطوير ميناء بجاية، وجعلوا منه قاعدة بحرية رئيسية تنطلق منها غارات الجهاد ضد السواحل الأوربية ،[2] ولقي هؤلاء المهاجرون دعما من أمراء بجاية ، الذين بذلوا جهدهم لمساعدتهم والتصدي للخطر الاسباني المتزايد،[3] ورغم أهمية هذه الفئة، فان أغلبية السكان ظلوا من القبائل الامازيغية[4]، ما يؤكد الطابع المحلي الغالب على التركيبة السكانية للمدينة في تلك الفترة. وقد ترك هذا التفاعل بين السكان المحليين والمهاجرين الاندلسيين أثرا بارزا في الحياة الفكرية والعمرانية والتجارية لبجاية خلال العهد العثماني[5].

3- أهل الذمة:

شهدت مدينة بجاية قبل الاحتلال الاسباني سنة 1510م وجود فعالا للطوائف الذمية، على رأسها اليهود الذين استقروا في ضواحي المدينة ومناطق القبائل، وشاركوا في مختلف الأنشطة الاقتصادية،[6] غير أن هذا التواجد تراجع بشكل ملحوظا عقب سيطرة الاسبان، حيث فرضت على اليهود ضرائب باهضة وتعرض عدد منهم للسجن،[7] ويأكد أبو علي الزواوي في قوله "... لا يوجد يهوديا ولا نصرانيا، ولا مذهب غير المذهب مالك ولا قراءة غير قراءة ورش"[8].

---

[1]- محند آكلي آيت سوكي: المرجع السابق، ص 21.

[2] - لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، ص 209.

[3] - محند آكلي آيت سوكي: المرجع السابق، ص21.

[4] - Robert Brunschvicg: op ،cit،P383

[5] - محند آكلي آيت سوكي: المرجع السابق، ص 21.

[6] - المرجع نفسه، ص 24.

[7]- نجوى طوبال: **طائفة اليهود بمجتمع المدينة الجزائر (1700ـ 1830م)، من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الجزائر، سنة 2005م، ص43.

[8]- أبو يعلى الزواوي: **تاريخ الزواوة**، تع: سهيل الخالدي، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005م ص109.

وقد ساهم اليهود خلال العهد العثماني في العديد من القطاعات الاقتصادية والحيوية، لاسيما تصدير منتجات الشرق الجزائري واستغلال الغابات الكراستة[1] لتزويد الترسانات الجزائرية بالأخشاب، وبرز من بين اليهود المتعاملين في هذا المجال كل من البكري وبوجناح[2].

4- فئة المرابطون:

يطلق مصطلح " المرابط" في اللغة العربية بمعني "ملازم" أي من يلتزم العبادة والتقوى وغالبا ما يقصد به رجل الدين، وقد شكل المرابطون في بجاية طبقة دينية متميزة وعرفت بعزلتها عن المجتمع القبائلي، شأنها في ذلك شأن باقي الطبقات الاجتماعية [3]، ويمتع المرابطون بعدد من الامتيازات الخاصة، كما لعبوا دورا هاما في حل النزاعات البسيطة بين الافراد او المجموعات المحلية[4]، نظرا لما يتمتعون به من مكانة دينية واحترام داخل المجتمع.

ثانيا: العادات والتقاليد:

تميز المجتمع البجائي خلال الفترة العثمانية بمجموعة من العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية التي عكست طبيعة الحياة اليومية أندلك، من أبرز هذه العادات عادة الختان، التي كانت تقام الأطفال في سن الخامسة أو السادسة وتميز بطابع احتفالي خاص يشمل ركوب الطفل على البغل والطواف به في الأسواق لإعلان موعد ختانه[5]، وتقديم الهدايا له من طرف الأقارب، خاصة الشيوخ[6]. أما في زواج

---

[1] **الكرا ستة:** كلمة تركية تعني الالواح او الدعامات الخشبية وغيرها من من لوازم حرف النجارة وكان هذا اللفظ مستخدما للدلالة على استغلال الخشب المخصص للصناعة البحرية، ثم اتسع معناها لبدل على ليدل على استغلال كافة الأرض الغابية في خليج بجاية، ينظر: لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص187.

[2] – محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 276.

[3] – هانوتو لوتورنو: **منطقة القبائل الكبرى (العادات القبائليةـ التنظيم السياسي والإداري)**، تر: مزيان الحاج احمد قاسم، مطبعة منتانير، برج البحري، 2013م، ص129.

[4] – المصدر نفسه، ص 128.

[5] – مكيسة بو بجنت: المرجع السابق، ص 165.

[6] – هاينريش فون مالتسان: المصدر السابق، ص 155.

فكان يتم في سن مبكر، حيث تتزوج الفتيات ابتداء من سن التاسعة، في حين يتزوج الذكور في حدود الرابعة عشر وغالبا ما يتم اختيار الشريك من قبل الاب[1].

كما لعبت المرأة دورا مهما في الحياة الاجتماعية، إذا ساهمت في الاعمال اليومية إلى جانب الرجل [2]،لا يقتصر دور المرأة على المجال الاجتماعي فحسب بل يتجلى حضورها أيضاً في المناسبات الدينية، الأمر الذي يقودنا إلى الحديث عن شعيرة الحج وما ارتبط بها من مظاهر دينية واجتماعية. ذكر شارل فيرو انه عندما يحين موعد الحج السنوي المنعقد في الفترة ما بين 15و 25 من شهر رمضان الكريم يصير المشهد في بجاية وضواحيها عجيبا ويصبح المكان غاصا بالناس، كما يفد اليها حشد من الزوار يصل عددهم أحيانا إلى 20 ألف يأتون من الجبال المجاورة للصلاة في المدينة المقدسة، وترى الكثير من العائلات مجتمعة حول كل مسجد قديم أو مصلى أو ضريح والي صالح أو زاوية يدعون وينشدون المدائح الدينية ويحرقون البخور، وفي الليل عندما يعلن مدفع القصبة دخول وقت الإفطار، تعم الأنوار أرجاء المدينة[3].

ثالثا: الأوضاع الثقافية:

لم تقم السلطة العثمانية في بجاية بمهمة الاشراف على العملية التعليمية وإنما تركت هذه المهمة للمجتمع المحلي[4]، إن الزوايا والمؤسسات الدينة التي لعبت دورا دورا بارزا في نشر التعليم وتكوين النخبة الدينية والقضائية، ومن أبرز هذه المؤسسات زاوية سيدي" التواتي" التي كانت تقع في منطقة واسعة واستقطبت عدد كبيرا من الطلاب، حيث يذكر فيرو أن عددهم بلغ حوالي 200 طالب، وكانت

[1] – مكيسة بوجنيت: المرجع السابق، ص 167.

[2] – احمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص106.

[3] – لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص 196

[4] – لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555–1833م، المرجع السابق، ص 257.

الزاوية تعد مركز لتكوين القضاة وتعليم السكان في مختلف ارجاء المنطقة [1]، حيث اشار فيرو إلى حادثة اختطاف فتاة من عائلة مرموقة من طرف بعض الطلبة داخل الزاوية مما دفع سكان المدينة إلى رفع شكوى إلى حسين باشا الذي أمر بإغلاق المدرسة.[2]

أما التعليم الابتدائي فقد كان مخصصا لأطفال بين سن السابعة والثانية عشر، وأرتكز أساسا على حفظ القران الكريم ، بأستخدام الالواح الخشبية كوسائل تعليمية [3]، وقد ظلت اللغة العربية هي اللغة الأساسية للتدريس، في حين همشت اللغة القبائلية رغم كونها لغة محلية منتشرة بين السكان.[4]

كما شهدت بجاية خلال العهد العثماني انتشار عديد من الاضرحة والزوايا منها ضريح لالاغوريا الذي يقع في قمة الجبال المطلة على المدينة، بالإضافة الي أضرحة سيدي المقران ، وسيدي تواتي، سيدي عبد الحق وسيدي بوعلي،[5] ومن أشهر العلماء في مدينة بجاية محمد بن علي البجائي كان من المقرئين ومؤدبي الصبيان في بجاية[6].

بعد ما تبينت ملامح الحياة الثقافية في بجاية خلال العهد العثماني، من خلال انتشار الزوايا وطرق التعليم الديني، وظهور فئات اجتماعية لها دورها في الحياة اليومية، يبرز تساؤل جوهري حول طبيعة العلاقة التي جمعت هذه الفئات المحلية بالسلطة العثمانية: هل كانت علاقة خضوع وتعاون؟ ام تميزت بالتوتر

---

[1]– لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص 197.

[2] – المصدر نفسه، ص 197.

[3] – أبو يعلي الزواوي، المرجع السابق، ص152.

[4]– هانوتو ولوتورنو: المصدر السابق، 156.

[5]– لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص196

[6] – أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي 1550–1830م**، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 415.

والرفض؟ وماهي مواقف المجتمع المحلى من الحكم العثماني في ضوء السياسات المفروضة وعلى رأسها الضرائب؟

رابع: علاقة السلطة العثمانية بالسكان المحليين:

تميزت العلاقات بين السلطة العثمانية وسكان بجاية بطابع مزدوج، جمع بين التحالف المؤقت والصراع المتكرر. فمنذ المحاولة الأولى لعروج بربروس لتحرير بجاية من الاحتلال الاسباني، سعت السلطة العثمانية الي كسب دعم السكان المحليين عبر عقد تحالفات مع الزعامات القبلية النافذة في المنطقة، على غرار أسرة بني عباس في القبائل الشرقية والاسرة القاضوية في القبائل الغربية، وقد لعب هذا التحالف دورا محوريا في تدعيم الوجود العثماني، خاصة في فترات المواجهة مع الاسبان، كما ساعد هذا التوسيع نطاق السيطرة العثمانية جنوبا[1].

وتجلى هذا التعاون بشكل واضح في دعم أمير بني عباس لحملة حسن بن خيرالدين على تلمسان خلال ولايته الأولى 951هـ- 958هـ \ 1544ـ 1551م[2] حيث ساهمت قواته بشكل فعال في القضاء على الحكم الزياني 957هـ \ 1550م وهو ما يعكس انخراط الزعامات المحلية في المشروع العثماني في بدايته [3]، كما دعم أمير بني عباس صالح رايس في حملته على الجنوب تقرت ورقلة لدفع الضرائب واخضاعها للحكم[4].

غير أن هذه العلاقات لم تدم طويلا، فسرعان ما ظهرت الخلافات بين الطرفين، ما أدى إلى اندلاع عدة معارك، وقد بدأت السلطة العثمانية المركزية تعمل على أخضاع منطقة القبائل من خلال دفع الضرائب التي فرضتها السلطة

[1] – نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص 93.

[2] – انظر الملحق رقم 14.

[3] – محند آكلي آيت سوكي: المرجع السابق، ص 43.

[4] – عزيز سامح آلتر: المرجع السابق، ص 184.

فكانت تعد في نظرها رمز للتبعية والخضوع، لكن هذا الامر لم يلق قبولا من جميع السكان، إذا فر عدد كبير منهم إلى المناطق الجبلية فارين من الضرائب وهو ما أدى إلى انقسام السكان إلى قسمين[1].

1- السكان الخاضعون للسلطة:

تمركز السكان الذين خضعوا للسلطة المركزية في المجال الممتد من وادي يسر غربا الوادي سباو شرقا، وقد حافظوا على نمط الاستقرار في هذه المناطق[2]، كانت العلاقة التي تربطهم بالسلطة تتم عن طريق شيوخهم ومرابطيهم، الذين أصبحوا بحكم العادة، يتوارثون حكمها معتمدين على نفوذهم الديني او كفائتهم الحربية.

وقد كانت السلطة المركزية هي التي تحدد صلاحيات هؤلاء الشيوخ، إذا وضعتهم تحتنفوذ حاكم عثماني مباشر، وظلت هذه القبائل تدفع الضرائب والمساهمات بانتظام، كما كانت تتحمل الأعباء المفروضة عليها من قبل الإدارة العثمانية.[3] على رغم من ان هذه القبائل كانت تملك القدرة على التمرد والتحالف ضد النظام العثماني، الا أن ذلك لم يتحقق ويرجع السبب في ذلك الي انتشار عقليه " الصف" [4] وهي عقلية تنافسية كانت تسود بين القبائل وتمنع توحدها فقد كانت التحالفات تقوم على المصالح الطبقية بين أجزاء من القبائل[5].

---

[1] – نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق ص94.

[2] – محند آكلي آيت سوكي: المرجع السابق، ص 38.

[3] – نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق ص ص، 94-95.

[4]– مازالت آثار هذه الصفوف موجودة الي يومنا، خاصة في المناطق الجبلية، ينظر: المرجع نفسه، ص95.

[5]– نفسه، ص 95.

2- القبائل المستقلة الممتنعة عن السلطة:

تكونت الفئة الممتنعة عن الخضوع من القبائل استوطنت في المناطق الجبلية الوعرة خاصة جبال البابور وجرجرة والونشريس [1]، وقد وفرت الطبيعة الجغرافية الصعبة لتلك المناطق حصانة طبيعية، مكنت هذه القبائل الحفاظ على استقلالها ورفض إلى تبعية فعلية للسلطة المركزية [2] من جهتها سعت السلطة العثمانية إلى اخضاع هذه القبائل، فشنت ضدها حملات عسكرية متكررة، اما ارفض السيطرة المباشرة، او على الأقل لإجباره على تقدم نوع من الولاء الرمزي من خلال دفع الضرائب كإشارة إلى التبعية [3].

وقد كانت العلاقة بين الطرفين تتسم بالتوتر حيث ابتعدت هذه القبائل عن نفوذ الإدارة المركزية ورفضت الانخراط في سلطتها، بالمقابل حاولت السلطة ان تقيد هذا الاستقلال وان تفرض على هذه المجموعة السكانية الاعتراف بالسلطة [4]، دون اللجوء إلى القوة المباشرة في كل مرة، وفي هذا الإطار اعتمدت الإدارة العثمانية منذ استقرارها في الجزائر على القوى الدينية المحلية وعلى راسها المرابطون وشيوخ الزوايا كوسيط بينهما وبين السكان خاصة في المناطق الجبلية الوعرة.[5]

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، الشيخ المهدي البوعبدلي: الجزائر في التاريخ العهد العثماني: المرجع السابق، ص 109.

[2] - محند آكلي آيت سوكي: المرجع السابق، ص 39.

[3]- نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10هـ/16م، المرجع السابق، ص96.

[4] - المرجع نفسه، ص 96.

[5]- ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط2 دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 272.

مقابل منح هؤلاء الشيوخ والمرابطين امتيازات هامة مثل بناء المساجد منحتهم الأراضي الزراعية، كما لجأت السلطة إليهم خلال فترات الاضطراب والثورات المحلية حيث كان يتم استخدام نفوذهم لاحتواء التمردات .[1]

كما شملت علاقة العثمانيين بسكان بجاية جانبا اقتصادية مهما، إذا اهتموا بثروة الخشب التي تزخر بها المنطقة نظرا لحاجتهم اليها في صناعة السفن، ورغم صعوبة اخضاع القبائل، عقدت السلطة تحالفات تجارية مع بعض العائلات المحلية مثل "عائلة المقراني"[2] التي لعبت دور الوسيط في تامين هذه الموارد [3] كما استعانوا بقوة محلية أخرى لتدعيم تواجدهم وهي قبائل المخزن التي كانت تنال امتيازات مقابل الخدمات التي تقدمه السلطات البايلك، كما لعبت منطقة بجاية دورا فعالا في تدعيم القوة البحرية الجزائرية من خلال تزويدها بالأخشاب .[4]

ومع نهاية العهد العثماني، واجهت إيالة الجزائر صعوبات متزايدة خصوصا مع تراجع القرصنة الذي كان يشكل أحد اهم مصادر دخل الدولة، وامام هذا التراجع لجأت السلطة إلى فرض أنواع متعددة من الضرائب على السكان كحل اجرائي، أدت هذه السياسة إلتوتر العلاقات بين السلطة والسكان وبرزت منطقة

---

[1] – نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10ه/16م، المرجع السابق، ص102.

[2] – **امقران (Amokrane)**: او مقران، كما ينطقها العرب هي كلمة بربرية مشتقة من الجذر" مقر" الذي يعني كبير ثم اتسع معناها ليدل على " زعيم"، ينظر: لوران شارل فيرو: المصدر السابق، ص 181.

[3] – نبيل بومولة: صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني امارة المقرانيين في القرن 10ه/16م، المرجع السابق ص102.

[4] – لخضر بوطبة: غابات منطقتي بجاية وجيجل ودورها في تدعيم قوة الأسطول الجزائري خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص 55.

بجاية كمركز أساسي للاحتجاج حيث شهدت عدة حركات تمرد وثورات شعبية جاءت كرد فعل مباشر على سياسة الجبائية التي فرضتها السلطة العثمانية[1].

[1]- لخضر بوطبة: بجاية خلال العهد العثماني 1555-1833م، المرجع السابق، المرجع السابق، ص401.

خاتمة

خاتمة:

انطلاقا من معاينتنا واستقرائنا لما توفر لدينا من مصادر ومراجع تخص تاريخ الجزائر الحديث، فيما تعلق بموضوع بجاية خلال العهد العثماني (1555م-1830م)، خلصت إلى مجموعة من النقاط الأساسّية التي تمخضت عن هذه الدّراسة:

- أعطى الموقع الجغرافي لبجاية، أهمية تجارية وعسكرية، وجعلها نقطة استراتيجية تتحكم في طرق المواصلات البحرية والبرية.
- الموقع الاستراتيجي للمدينة، جعلها مطمعًا للقوى الأجنبية وساهم في سقوطها في يد الإسبان سنة 1510.
- كشف سقوط بجاية أنّ الضعف السياسي والانقسامات الداخلية عجّلت في انهيار السلطة المحلية وعجزها عن مواجهة التهديدات الخارجية.
- استنجاد سكان بجاية بالإخوة بربروس كان نتيجة عجز القوى المحلية في صدّ الاحتلال الإسباني.
- لقد مثّل الإسبان خطرًا مباشرًا على المدينة وأهلها، في حين مثّل الإخوة بربروس، بحكم انتمائهم إلى الفضاء الإسلامي والبحري، الأمل في التحرير. ويكشف هذا الموقف عن وعي سياسي لدى الأهالي.
- محاولات العثمانيين استرجاع مدينة بجاية تبرز الأهمية الإستراتيجية للمدينة للإخوة بربروس ضمن مشروعهم البحري في المغرب الأوسط.
- بيّنت المحاولات الأولى لاسترجاع بجاية أنّ غياب الدعم الداخلي والقوة العسكرية الكافية حال دون نجاحها، إلى أن جاءت حملة صالح رايس سنة 1555م التي أنهت الوجود الإسباني بالمدينة.

- انتهج العثمانيون أساليب غير تقليدية لتثبيت سلطتهم في بجاية، بالاعتماد على التحالفات المحلية مثل الاستعانة بشيوخ القبائل، واعتماد المصاهرة كوسيلة لاختراق البنية الاجتماعية.

- تبرز السياسة المتبعة من السلطة العثمانية اتجاه وعيهم بطبيعة المجتمع البجائي، وسعيها إلى فرض الهيمنة من الداخل بدل المواجهة المباشرة. ما يدلّ على بُعد سياسي عملي في تعاملهم مع المناطق المسترجعة.

- اعتد العثمانيون في بسط سيطرتهم على المنطقة بإقامة الحصون والأبراج إلى جانب توزيع الحاميات العسكرية.

- عكست هذه البنية الدفاعية طابعًا عسكريًا صرفًا للوجود العثماني أُولِي فيه الأمن والتحكم أولوية على حساب التنمية والإدارة.

- لم تحظ بجاية بهيكل إداري مستقل وقوي، بل خضعت لتسيير بسيط تحت إشراف القاضي والمفتي.

- لم يُعطي العثمانيون بجاية أهمية مركزية في التنظيم العام للإيالة، بل اعتمدوها كقاعدة محلية في إطار سلطة غير مباشرة.

- كان النشاط الاقتصادي في بجاية متنوعا، حيث شكّلت الزراعة المورد الأساسي للسكان بفضل خصوبة الأراضي وتنوّع المنتجات، كما حافظت بعض الصناعات التقليدية على وجودها، لا سيما النسيج والدباغة. أما النشاط التجاري فظلّ محدود النطاق، مقارنة بمكانة المدينة السابقة.

- دلّت الحياة الثقافية على وجود استمرارية للتقاليد المحلية، وبرز فيها دور الزوايا والعلماء، وهو ما يثبت أن المجتمع البيجاوي لم ينقطع عن تاريخه الثقافي رغم تغيّر السلطة السياسية.

- لعبت الزوايا دورا اجتماعيا مهما، حيث كانت تقدم دروسًا في القرآن والفقه وتعمل كمراكز للمساعدات الاجتماعية.

- اتسمت علاقة السلطة العثمانية بسكان بجاية في بدايتها بطابع تحالفي غير أنّها سرعان ما شهدت توترا نتيجة السياسات الجبائية التي فرضتها خاصة بعد تراجع النشاط البحري.

ومما سبق فإن ما قدم فهو غيض من فيض، ونافذة جادة تفتح لجمهور الباحثين والمهتمين في حقل الدراسات العثمانية للإهتمام بهكذا مواضيع، لفهم مجموعة التحولات وفي مختلف الجوانب التي عرفتها بجاية، وإبراز الأبعاد التي شكلت تاريخ المدينة خلال الفترة العثمانية

الملاحق

الملاحق

الملحق رقم 1: منظر عام لبرج موسى ببجاية [1]

[1] – عبد الكريم عزوق: التحصينات الدفاعية الاسلامية ببجاية، **مجلة دراسات وأبحاث**، ع12، جامعة الجلفة سبتمبر 2013م، ص94.

المحلق رقم2: برج سيدي عبد القادر ببجاية [1]

[1] – عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص94.

المحلق رقم3: مدخل قصبة بجاية[1]

[1] – عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص94.

المحلق رقم4: بعض الأسلحة التي استخدمها بني عباس[1]

[1] – نبيـل بومولـة: العلاقـات الداخليـة والخارجيـة لإمـارة أولاد مقـران وكوكـو خـلال القـرنين 16– 17م /10_ 11هـ المرجع السابق، ص400.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر باللغة العربية:

1. بربروس خير الدين: مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط1، الشركة الإسلامية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م

2. بن سعيد أبي الحسن علي بن موسى المغربي: كتاب الجغرافيا، تح: إسماعيل العربي، ط1، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.

3. بن عثمان حمدان خوجة: **المرأة**، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، سلسة التراث، الجزائر، 2005م.

4. بن ميمون محمد الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

5. سحنون أحمد بن محمد بن علي الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق: الشيخ المهدي البوعبدلي، ط1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

6. شلوصر فندلين: قسنطينة أيام الحاج احمد باي (1832ـ 1837)، ترج وتق: أبو العيد دودو، ش. و. ن.ت، الجزائر، د. ت.

7. فيرو لوران شارل ، تاريخ بجاية، تر: صالح بخوش، دار تلانتيفت للنشر، بجاية، 2020م.

8. كربخال مارمول: افريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، ج2، دار النشر المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، 1989

9. لوتورنو هانوتو: منطقة القبائل الكبرى (العادات القبائلية التنظيم السياسي والإداري)، تر: مزيان الحاج احمد قاسم، مطبعة منتانير، برجع البحري، 2013م.

10. مؤلف مجهول: زهر البستان في دولة بني زيان، تح: بوزياني الدراجي، ج2، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م

11. هاينريش فون ماليتسان: ثلاثة سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر: أبو العبد دودو، ج1، ج2، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1979م

المصادر باللغة الأجنبية:

1. prigent A. :Atravers verres l'Algérie p province de Constantine et Kabylie, librairie hachette ،paris 1914،

2. BOULIFA, S.A., Le Djurdjura à travers l'histoire (depuis l'Antiquité jusqu'à 1830). Organisation et indépendance des Zouaoua (Grande Kabylie), Alger, J. Bringau, Imprimeur-Éditeur, 1925.

3. Brunschvicg Robert :La Berbérine orientale sous les Hafsides ،Des origines a la fin du XVe siècle ،tome l Thèse principale pour le doctorat ès lettres ،présentée a la Faculté des Lettres d'Alger،Paris، Adrien -Maisonneuve 1940،

4. Daumas Eugene : Mœurs et de coutumes de l'Algérie،ANEP،Algérie 2006

5. Daumas Eugene : Mours et coutumes de l'Algérie،Tell -Kabylie Sahara2،Edition ،librairie de la Hachette et Cie rue pierre - Sarrazin،paris 1855

6. De Grammont Henri : .histoire D'Alger sous la domination turque، 1830 - 15 15Ernest Leroux Editeur, paris 1887

7. Despois Jean, L'Afrique blanche I : L'Afrique du Nord, collection "Outremer", Presses Universitaires de France, Paris.1964

8. Diego Fray de Haedo: Histoire des Rois d'Alger، trad، de l'Espagnole par Henri Delma de Grammont، Ed، Alger Grands Livres، Alger ،1881

9. Elie de la primaudar: Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique ،1574 - 1506A ،Jourdan ،Alger1875

10. Ernert Mercier : Histoire de l'Afrique Septentrionale (Berbère)depuis les temps les plus،reculées jusqu a la Conquête ،Française 1830 Paris , 1868

11. Féraud Charles, Histoire des villes de la province de Constantine: Bougie, Constantine, Typographie et lithographie L. Arnolet, 1re édition, 1869

12. Jacques Pierre- -Nicolas Boutin, Rolland de, Aperçu historique, statistique et topographique sur l'état d'Alger, à l'usage de l'armée expéditionnaire d'Afrique, Paris, Ch. Picquet, 1830

13. Le Roy Jean, Un peuple de barbares en territoire français. Deux ans de séjour en Petite Kabylie, Paris, Augustin Challamel

14. P. Christian: L'Algérie de la jeunesse ،1847،ALPH desserts éditeur ،Paris.

15. Rozet, Claude Antoine et Carette. Algérie. Librairie de Firmin-Didot et Cie, Paris, 1885

المراجع باللّغة العربية:

1. الدراجي بوزيان: أدباء وشعراء من تلمسان ج1، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011

2. الزبيري محمد العربي: التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975م

3. الزواوي أبو علي: تاريخ الزواوة، تع: سهيل الخالدي، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005م.

4. العربي إسماعيل: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

5. العسلي بسام ، خير الدين بربروس والجهاد في البحر 1470-1547م، ط1، دار النفائس، بيروت 1980م

6. المدني أحمد توفيق ، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، دار البعث، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر، د: ت.

7. بالحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ج1، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981م

8. برنيان اندري واخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر ، تر: رابح اسطمبولي وآخرون، م. و. ق م، الجزائر، 1984م

9. بـن خـروف عمـار: العلاقـات السياسـية المغاربيـة فـي القـرن العاشـر الهجـري والسادس عشر الميلادي، ج1، الجزائر، 2006م.

10. بـن عـامر أحمـد: الدولـة الحفصـية صـفحات خالـدة مـن تاريخهـا المجيـد، دار الكتب الشرقية، تونس، 1974م.

11. بـن عميـرة محمـد ولطيفـة بشـاري بـن عميـرة: تـاريخ بجايـة فـي ظـل مختلـف الأنظمـة السياسـية مـن عهـد القرطـاجيين إلـى عهـد الأتـراك العثمـانيين، ط1، دار الفاروق للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م

12. بنـو جـين يوسـف: قلعـة بنـي عبـاس القـرن السـادس عشـر مـيلادي، تـر: سـامية سعيد، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009

13. بوطبـة لخضـر: بجايـة خـلال العهـد العثمـاني 1555-1833م، دار كوكـب العلوم للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، 2012م.

14. بوعزيز يحي: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، الجزائر، 2007م.

15. بوعزيز يحيى: الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية،

16. بومولـة نبيـل: صـفحات مـن تـاريخ بجايـة فـي العهـد العثمـاني امـارة المقـرانيين في القرن 10هـ\ 16م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2013م

17. بيرينشـفيك روبـار: تـاريخ افريقيـة فـي العهـد الحفصـي مـن ق13 إلـى نهايـة القرن 15، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م

18. حسـاني مختـار: موسـوعة تـاريخ وثقافـة المـدن الجزائريـة، ط2، ج3، دار الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012

19. دراج محمد: الدخول العثماني إلى الجزائر ودور الاخوة بربروس (1512-1543)، تص: ناصر الدين سعيدوني، ط1، شركة االاصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.

20. ساحلي أحمد: الزواوة من القرن السادس عشر حتى الثامن عشر عهد امارة كوكو 1512-1767م، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، 2015

21. سالم أحمد: السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16م، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2011م

22. آلتر سامح عزيز: الاتراك العثمانيين في افريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م

23. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1550-1830م، ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996

24. سعيدوني ناصر الدين ، الشيخ المهدي بوعبدلي: الجزائر في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1982م.

25. سعيدوني ناصر الدين: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2 دار البصائر، الجزائر، 2009م

26. شوفاليه كورين: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510ـ 1541م، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية ،د،ت.

27. عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي 1514ـ 1830م، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م

28. عبد القادر نور الدين: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.

29. عويس عبد الحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.

30. غطاس عائشة وأخريات: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر، الجزائر، 2007م

31. محند اكلي آيت سوكي: القوى الدينية في المنطقة القبائل تأثيرها وادوارها وبعض مواقفها في المجالات الحياتية من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر 16. 19م، الاصالة للنشر، الجزائر،2020م

32. مروش المنور: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني القرصنة الاساطير والواقع ج3، دار القصبة للنشر، الجزائر،2009م.

المعاجم:

1. الحموي ياقوت: معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، 1988م

الأطروحات والرسائل الجامعية:

الأطروحات:

1. العبدي علي: الحركات المناوئة للسلطة العثمانية في الجزائر خلال العهد العثماني (1519-1830)، أطروحة شهادة دكتوراه، جامعة جامعة الجزائر2، 2019م

2. بلحميسي مولاي: المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه (الحلقة الثالثة)، جامعة الجزائر، 1989م.

3. بوتشيش آمنة: بجاية من العهد الحمادي إلى الغزو الإسباني دراسة تاريخية وحضارية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، 2015-2016م.

4. بومولة نبيل: العلاقات الداخلية والخارجية لإمارة أولاد مقران وكوكو خلال القرنين 16-17م، 10-11هـ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر2، 2020-2021م.

5. معاشي جميلة: الإنكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2007- 2008م.

رسائل الماجستير:

1. بو لجنت كيسة: العادات والتقاليد في بلاد زواوة بين القرنين 17ـ 19م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر2، 2010م.

2. حماش خليفة: العلاقات بين ايالة الجزائر والباب العالي من سنة1798 الي 1830م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة اسكندرية، مصر، 1988م

3. دكاني نجيب: الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي 16م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، سنة 2002م.

4. شقدان بسام كامل الرزاق: تلمسان في العهد العثماني (633-962هـ، 1235-1555م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة نابلس، فلسطين 1422هـ/2002م.

5. طوبال نجوى: طائفة اليهود بمجتمع المدينة الجزائر (1700ـ 1830م)، من خلال سجلات المحاكم الشرعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الجزائر، سنة 2005م.

المجلات والدوريات:

1. بن عتو بلبروات: بجاية من الاحتلال الإسباني إلى تحرير العثماني 1510-1554م، مجلة عصور الجديدة، ع7-8، جامعة وهران، 2012-2013م.

2. بوطبة لخضر: غابات منطقتي بجاية وجيجل ودورهما في تدعيم قوة الاسطول الجزائري خلال العهد العثماني، المجلة التاريخية الجزائرية، ع05، جامعة سطيف، ديسمبر 2017م

3. بوعزيز يحيي: الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافية والسياحة، عدد مارس، (و.ن ت)، الجزائر، افريل 1984م

4. بونار رابح: بجاية خلال الرحالة المسلمين، مجلة الأصالة،ع19، الجزائر، 1974.

5. عزوق عبد الكريم: التحصينات الدفاعية الاسلامية ببجاية، مجلة دراسات وأبحاث، ع12، جامعة الجلفة سبتمبر 2013م.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

المحتويات	
➢ الشكر والعرفان	
➢ الإهداء	
➢ مقدمة	
الفصل التمهيدي: الاطار الجغرافي والتاريخي لمدينة بجاية.	8
✓ أولا: الموقع الجغرافي لمدينة بجاية.	8
✓ ثانيا: لمحة تاريخية عن بجاية قبيل مجيء العثمانيين.	10
الفصل الأول: محاولات استرجاع بجاية من الاحتلال الاسباني.	15
✓ المبحث الأول: الاحتلال الاسباني وردود فعل السكان.	15
• أولا: سقوط بجاية على يد الاسبان 1510.	15
• ثانيا: أسباب استنجاد سكان بجاية بالأخوة بربروس.	20
✓ المبحث الثاني: المحاولات العسكرية لاسترجاع بجاية.	23
• أولا: المحاولات الأولى لاسترجاع بجاية (1512-1515).	23
• ثانيا: حملة صالح رايس واسترجاع بجاية سنة 1555م.	28
• ثالثا: تحرير بجاية وإلحاقها بالسلطة العثمانية.	30
الفصل الثاني: بجاية تحت الحكم العثماني1555-1830م.	33

✓ المبحث الأول: الأوضاع السياسية والإدارية.	34
• أولا: أساليب الحكم العثماني في بجاية.	34
• ثانيا: التنظيم الإداري للمدينة.	38
✓ المبحث الثاني: الأنشطة الاقتصادية.	40
• أولا: الزراعة.	40
• ثانيا: الصناعة.	42
• ثالثا:التجارة.	45
✓ المبحث الثالث: الحياة الاجتماعية والثقافية.	47
• أولا: الفئات الاجتماعية.	47
• ثانيا: العادات والتقاليد.	50
• ثالثا: الأوضاع الثقافية.	51
• رابعا: علاقة السلطة العثمانية بالسكان المحليين	52
➢ خاتمة:	58
➢ قائمة الملاحق:	61
➢ المصادر والمراجع:	66
➢ فهرس المحتويات:	76

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila
جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
Vice-Deanship of the College for Studies and Student Issues

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: بداية خلال العهد العثماني 1510 - 1555

إعداد الطلبة:

1- مدراقت جلال ..... رقم التسجيل: 202035067596

2- ..... رقم التسجيل: .....

القسم: التاريخ **الشعبة:** التاريخ **التخصص** تاريخ المغرب الحديث

إشراف: محمد سعيد طاهري **الرتبة:** .....

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2024-2025 وأسمح بإيداعه على مستوى ادارة القسم للمناقشة والتقييم.

موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

رئيس فريق الاختصاص

رئيس القسم

الملخص:

شكّلت مدينة بجاية خلال العهد العثماني مجالًا للتحولات السياسية والعسكرية بفعل موقعها الاستراتيجي وماضيها العريق، فقبيل وصول العثمانيين، كانت المدينة تعاني من تراجع نفوذها السياسي، مما سهّل سقوطها في يد الإسبان سنة 1510، وأدخلها في مرحلة اضطراب عميقة، أمام هذا الوضع، لعب السكان دورًا مهمًا في استدعاء الإخوة بربروس طلبًا للتحرير. ومع استرجاعها سنة 1555، دخلت بجاية مرحلة جديدة تحت الحكم العثماني.

تميزت بإدماجها في الإيالة الجزائرية ضمن سياسة دفاعية عامة، ورغم ضعف الاهتمام الإداري والاقتصادي بها، حافظت المدينة على نشاطها الاجتماعي والثقافي، مما يعكس تفاعلًا بين السيادة العثمانية والخصوصية المحلية.

وعليه، فإن بجاية خلال هذه الفترة عكست نموذجًا لمدينة مسترجعة ذات طابع دفاعي أكثر منه إداري أو اقتصادي.

الكلمات المفتاحية: العهد العثمانى، بجاية، الاحتلال الاسبانى، الأخوة بربروس.

Summary:

During the Ottoman era, the city of Bejaia became a site of political and military transformations due to its strategic location and rich historical legacy. Prior to the arrival of the Ottomans, the city was experiencing a decline in political influence, which facilitated its fall into Spanish hands in 1510 and led to a period of deep instability.

In response to this situation, the local population played a crucial role by calling upon the Barbarossa brothers for liberation. With its recovery in 1555, Bejaia entered a new phase under Ottoman rule, marked by its integration into the Regency of Algiers within a broader defensive policy.

Despite limited administrative and economic attention, the city maintained its social and cultural vitality, reflecting an interaction between Ottoman sovereignty and local distinctiveness. Thus, during this period, Bejaia represented a model of a reclaimed city with a predominantly defensive character rather than an administrative or economic one.

Keywords: Ottoman era, Bejaia, Spanish occupation, Barbarossa brothers